المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام

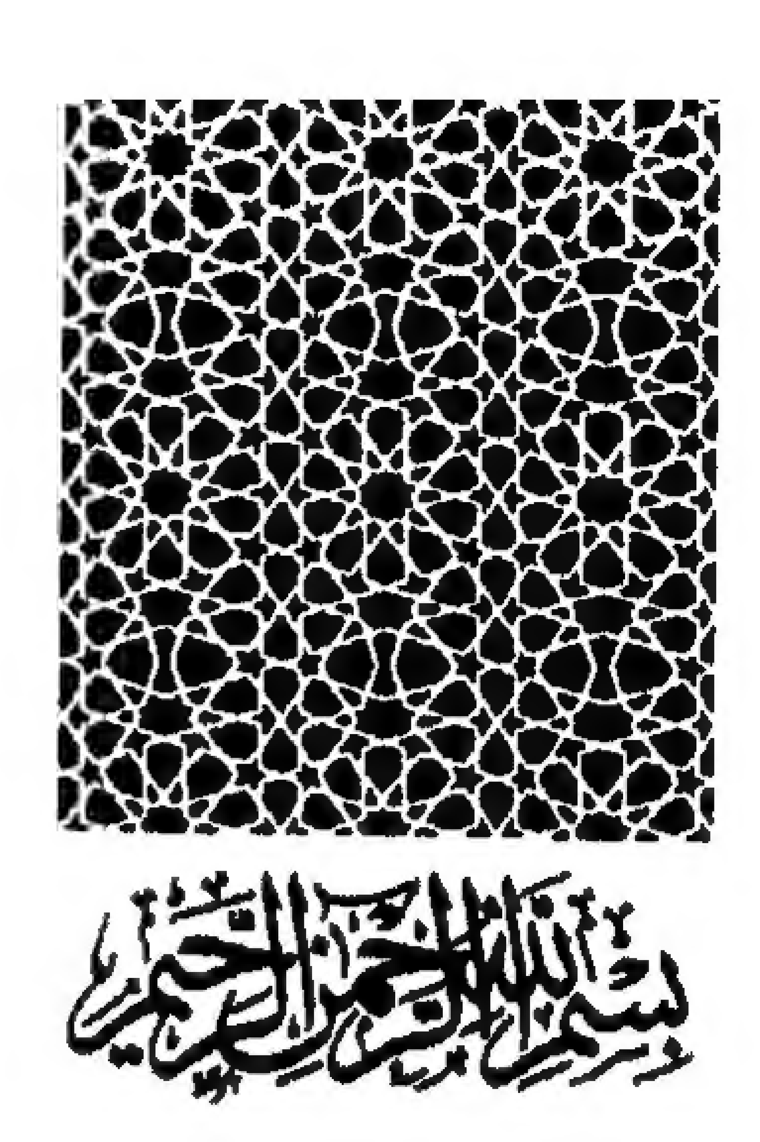


بقيادة سيف الله خالد بن الوليد

الدكتور شوقي أبو خليل



90
K4



بسم الله الرحمن الرحيم

اليرموك

بقيادة سيف الله خالد بن الوليد

اليـرموك : بقيـادة خالـد بن الوليـد/ شـوقي أبو خليل . - دمـشق : دار الفكر، ١٩٩٨ . - ٩٦ص؛ ٢٠سم . - (المعـارك الكبـرى في تاريخ الإسلام)
صدرت الطبعة الرابعة عام ١٩٨٠ .
١- ٩٥٦,٠٣ خ ل ي ي ٢- العنوان ٣- أبو خليل ٤- السلسلة
مكتبة الأسد
ع- ٣٢٨/ ٢/ ١٩٩٨

الدكتور شوقي أبو خليل

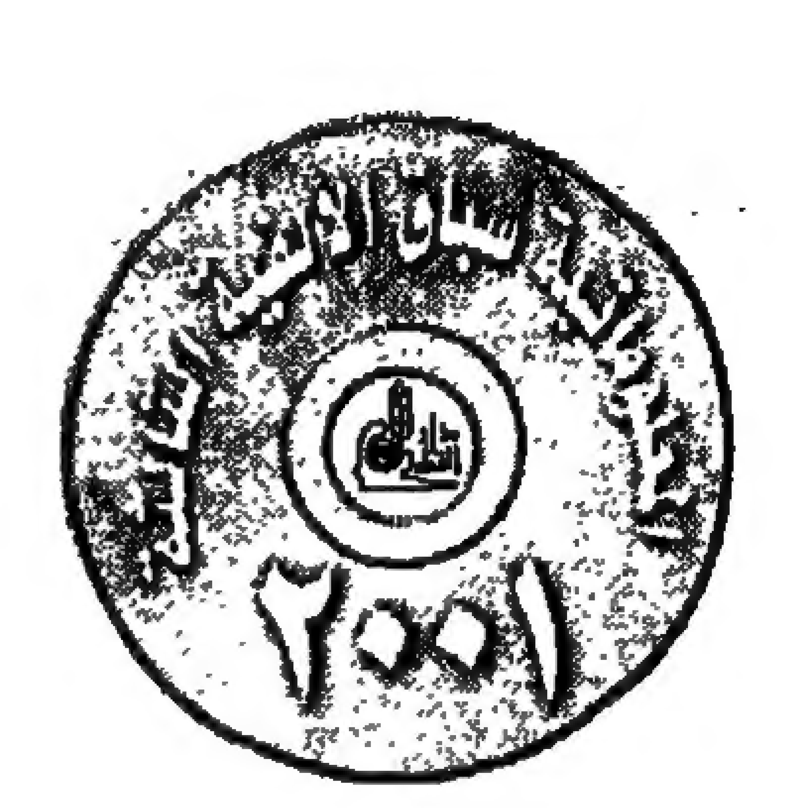
اليرموك

بقيادة سيف الله خالد بن الوليد

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

الرقم الاصطلاحي للسلسلة: ٣٠٠٥
الرقم الاصطلاحي للحلقة: ٠٤٩٣,٠٣١
الرقم الدولي للسلسلة: ISBN: 1-57547-500-6
الرقم الدولي للحلقة: ISBN: 1-57547-515-4
الرقم الموضوعي: ٩٣٠
الموضوع: تاريخ العرب والإسلام
السلسلة: المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام
العنوان: اليرموك
التأليف: د شوقي أبو خليل
الصف التصويري: دار الفكر – دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية– دمشق
عدد الصفحات: ٩٦ صفحة
قياس الصفحة: ١٤ × ٢٠سم
عدد النسخ: ١٥٠٠ نسخة



جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من

دار الفكر بدمشق

برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق–سورية
فاكس: ٢٢٣٩٧١٦
هاتف: ٢٢٣٩٧١٧ – ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
e-mail: info@fikr.com

إعادة
١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م
ط٤: ١٩٩٣م

تصدير الطبعة الجديدة

« صورة من اليرموك »

انطلقَ حذيفةُ العدوي يوم اليرموك ـ وقد احتدم القتالُ بين المسلمين والروم ـ يبحثُ عن ابن عمه الذي بعثَ في طلبه : ولم ينس وهو يبحث عنه أن يحمل معه قليلاً من الماء ، فالجنديُّ في الميدان لا يحتاج إلى شيءٍ حاجته إلى الماء ، يحفظ الرَّمق ، ويمسك الحياة •

وتملكه شعورٌ عجيب ، فمن الجائز أن يكون ابن عمه مع من استشهد هذا اليوم ، وأن هذا الماء الذي يحمله إليه لا يدري سيكون من نصيب من ؟

ووجد حذيفة ابن عمه حياً ، فأقبل عليه يقبّله ويعانقه ويغبطه على هذه الطعنات التي أثقل بها جسمه ، وأعجب حذيفة بابن عمه ، الذي لم يكن متبرِّماً ، لقد كان فرحاً مسروراً مستبشراً بالشهادة ، وأمسك الماء وقال لابن عمه : آسقيك من هذا الماء ؟ فاشار إليه في صوتٍ خافتٍ قائلاً : نعم •

وما كاد الجريح يشرب حتى ارتفع في الجو صوتُ متألمٍ يئن صاحبه أنيناً مكتوماً قائلاً : آه ، فأبعد الماء عن فيه ، وقال لحذيفة : انطلق به إليه ، فليست نفسي بأعز من أية نفس مسلمة • فاحترم حذيفة الرغبة ، وذهب بالماء نحو الصوت الذي سمعه ، فاذا به هشام بن العاص ونظر إليه حذيفة ، فوجدَه يعاني من الألم ما ينوء بحمله

إنسان ، فقال له في عطف : آسقيك من هذا الماء ؟ فقال هشام في صوت لا يكاد يسمع : نعم ، وما كاد الماءُ يصل إلى فيه ، حتى سمع آخر يهتف في ألم وحرقة قائلاً : آه .. فأبعد هشامٌ الماءَ عن فيه ، وقال لحذيفة : انطلق به إليه . ووقف حذيفة دهشاً حائراً أمام هذا السمو الروحي العجيب ، فتناول حذيفة الماء ، واتجه به إلى ناحية الصوت ، وقد استصغر نفسه أمام هذين الرجلين، وأخذ يتطلع هنا وهناك بين أشلاء القتلى ، فرأى مسلماً يعاني آلام النزع ، وما كاد يصل إليه حتى وجده قد مات . وأسرع حذيفةُ ليسقي هشاماً قبل أن يموت هو الآخر ، فاذا به قد مات كذلك ، إذن فليسرع الى ابن عمه قبل أن يفوت الأوان ، ويموت كما مات هذان الشهيدان. ولكن أراد الله أن يجده كما وجد زميليه اللذين آثرهما على نفسه ، ووقف حذيفة العدوي يقلّب الطرف بين هؤلاء الثلاثة وهو يتعجّب من قوة الإيمان .

هذه التربية الروحية التي جعلت المسلم يستقبل الموت بابتسامة ، هي أساس انتصار الجيوش ، وتقدم الأمم ، وهي نتاج مدرسة نهجها كتاب الله واستاذها رسول الله ﷺ ، وأيُّ دين ربى النفوس وجعلها تأتي بالعجائب غير الاسلام ؟!؟ وهو اليوم قادر كما كان قادراً.

ولكن أين ورثة رسول الله يربون الجيل على مثل هذه الروح ، والقرآن العظيم مازال بين ظهرانينا ؟!.

تصدير

ناولت مجاهدة مسلمة ولدها الصغير سيفا ، فرآه قصيرا ... فقال : « انه قصير يا أماه » ، فقالت : تقدم يا بني خطوة يطل !..

● بهذه الروح ، وهذه النفسية ، وهـذا الايمان ، جابه اجدادنا المسلمون اعداءهم . بهذه الكلمات وأمثالها ، وبما تحمل في طياتها من عقيدة راسخة ، ويقين خالد ، تعجز فلاسفة الدنيـا وعلماؤها عن ايفائها حقها من التحليل ، جابه العرب المسلمون قوى البغي ، وأنصاف الآلهة ، ومراكز الظلم والاستعباد .

● بمثل هذه الروح ... جابهوا أعداءهم في جبهتين معا ، وفي آن واحد ، جابه الاجداد جبهة الفرس شرقا ، وجبهة بيزنطة غربا وشمالا ، وهم حديثو العهد بالحروب ، مع ادراك مافي هذه المجابهة من خطر كبير ، فدول العالم اليوم ـ جميعها ـ تخشى أن تَفْتَح جبهتين ، أو يُفْتَح عليها جبهتان في آن واحد ، ولكن العرب الذين صقلهم الاسلام ، كانوا بشرا لا كالبشر ، بشراً دخل الايمان في قلوبهم ، فصار واحدهم كأنه محور هذا الكون ...

كيف لا يحققون الانتصارات ، وهـذه الروح نفحهـا بهم رسول الله ﷺ ، أليس هو القائل ـ ﷺ : « **والـذي نفس**

محمد بيده ، لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل »(١)

والغزو كما أراد الاسلام : محاربة للدعة والتواكل والطبقية، ونشر لمبادىء الانسانية ، ومحاربة للفقر والجهل ، ونشر للعلم والتقدم ، ومحاربة للرذيلة والتفسخ ، ونشر للفضيلة والتماسك والمحبة ، محاربة لعبودية الانسان للانسان ، ونشر للتحرر والتحرير ولا معبود الا الله الخالق وحده ••• فمن قام يغزو في سبيل هذه المثل العليا التي ارادها الله ، فإن له تلك المنزلة العالية التي علمها النبي ﷺ ، فتمنى أن يغزو فيقتل ، ثم يغزو فيقتل •••

● وبفضل الله تعالى وعنايته وتوفيقه ، تم تأليف وطبع الجزء الاول من :

((**المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام**)) ، والذي كان عنوانه (**القادسية**) • وهذا ــ عزيزي القارىء ــ الجزء الثاني (**اليرموك**) بين يديك وسيليه باذن الله الجزء الثالث وهو معركة (**نهاوند : فتح الفتوح**) وما جرى من فتوح في جبهة الفرس •

● هذه المعارك التي شهدت من البطولات ما يجعلها أقرب إلى الخيال ، وهي الحقيقة واليقين ، كيف لا يسطر اجدادنا البطولات ، وهم الخارجون للشهادة ، وللشهادة فحسب ؟ كيف لا يحققون نصراً تلو النصر على مر الزمن ، وكل فرد منهم ــ على تواضعه ــ عظيم في ذاته ، فكان الفرد يفعل الفعلة التي تكسبه

---

(١) رواه ابو هريرة (البخاري ومسلم) •

مجدا وشهرة أبد الدهر ، ثم يُخْفي اسمه ولا يعلنه قانعا بثواب الله سبحانه وكفى ؟...

ـ لقد انكرت نفوس الفاتحين ذاتها ، وخالفت هواها في سبيل الله ، لخدمة الانسان والمثل العليا ، فما السبب ؟

السبب : تربية القرآن باشراف النبي ﷺ ، أو من ناب عنه من كبار المربين . ولو درسنا **عظماءنا** في تاريخ المجد والانتصارات الرائعة ، لوجدنا الى جانب كل قائد عظيم المربي الكبير ، والمعلم الحكيم . واذا أردنا أن يعيد التاريخ نفسه، فلنطبق قوانينه ... قال تعالى :« **وان عدتم عدنا** »(١) وقال : « **ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** »(٢) . وورد في الاثر انه : « **لن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح عليه أولها** » ، فهل لنا ـ معشر العرب والمسلمين ـ أن نلتقي مع ورثة الانبياء ، الذين يفيضون علينا العلم والحكمة والحياة والسعادة ؟ بعد تطهيرهم لنفوسنا من عبادة الذات ، وأسر الشهوات ، وفكاكهم لنا من أسر الاستعمار الفكري الذي قيدنا بمركب النقص ، فأوحى الينا ان ننبذ اسلافنا، ونهمل تاريخنا وغير ذلك ... بداعي إهمال كل قديم . مع أنه .. ليس كل قديم ينبذ ، وليس كل جديد يؤخذ .

● كيف لا تكون معارك الاجداد ملاحم انتصارات وبطولات ؟ ومن خاض هذه المعارك باع دنياه بآخرته ؟ والمؤمن

---

(١) الاسراء ٨/١٧

(٢) سورة الرعد ١١/١٣

المجاهد يقول : الله أكبر ••• فما يكاد يسمعها حتى تطير به روحه، شوقا الى لقاء الدار الآخرة ؟! •••

● لقد كبر المجاهدون قائلين : الله أكبر ••• ولو كان الصوت الصادر منهم نورا ، لملأ بين الفجر والضحى ، وأي زمام أقوى روحانية ، وأشد وأوثق من زمام هذه العبارة ؟! ••

« الله أكبر » كانت دقات في ساعة الاسلام لموعد جميل بهيج، تحنو الروح اليه وتهفو ، انه موعد مع احدى الحسنيين : اما النصر واما الشهادة • فكانت روح المجاهد المؤمن ـ والروح اسمى من المادة الفانية ـ تجيب لبيك ربي ••• لبيك ربي •••

● كيف لا يحقق الاجداد البطولات الخارقة ، والايمان الذي في قلوبهم جاء في قوة اخلاقهم ، وصدق يقينهم كشباب الفجر ، يبعث حياة النور الانساني ، والتحرر البشري ، بعثا جديدا بعد ان طمست الانسانية ، وأظلمت آفاقها الروحية ؟•

● كيف لا تكون معارك الاجداد خالدة خلود الدهر ، وهم الذين تركوا الشهوات ومتع الدنيا ؟ وخرجوا من جزيرتهم، واتساع ذاتهم اتساع الكون • فلو ملك أحدهم الدنيا بمالها وخيراتها ، يبقى همه الشهادة • ملكه وغنائمه كلها زائلة في نظره ، فأصبحت نفسه « كالمنخل » يوضع فيه الدقيق الناعم ليخرج منه ، فيمسكه كله ولا يملك منه شيئا •••

● كيف لا يسطر الاجداد البطولات وهم الذين رأوا في ارادة رسول الله ﷺ النقطة الثابتة ، وقطب الرحى ، فيما يتضارب

من خيالات في التفس ؟ فكانوا أكبر علماء في الاخلاق على ارضنا هذه ، لا من كتب ولا فلسفة ، بل من قلب رسول الله وما أوحى الله اليه في القرآن العظيم ...

● كيف لا تكون « اليرموك » ملحمة عز وفخار ؟ وقد خرج اليها المجاهد من جزيرته وكأنه يمشي في الحياة الى الجنة ، بخطوات مسددة ، لا زيغ فيها ولا انحراف ؟ خرج وهو يعلم أن دنياه هي الدنيا كلها بشمسها وقمرها ، يملكها وان لم يملك منها شيئا ، مادامت في قلبه طبيعة السرور والبهجة والرضى ، فكل ما أمكن بيده ، فهو الغنى الكامل ، قوته في روحه ، فيندفع الجسم بقوى خفية جبارة عنيفة ... فكانت البطولات والانتصارات ...

● كيف لا تكون « اليرموك » ملحمـة عز وفخار وكان المجاهد فيها يضرب بالسيف في سبيل الله — فتقع ضربات السيوف على جسمه فتمزقه فيصيح : « **فزت ورب الكعبة** » ؟ كأنه يحس هذه الضربات وكأنها من قبل أصدقاء طال غيابهم، فيلقونه ويعانقونه ...

● كيف لا نفخر بهذا التاريخ ، وبهذه المعارك ، ومعنويات من خاضها في علوها لا توصف ، وفي عزتها لا تقـارن ؟. ألم يقل خالد في اليرموك : « **والله وددت أن « الاشقر » براء : وأنهم أضعفوا العدد** ؟! ». و « الاشقر » هو حصانه تمنى أن يكون سليما بريئا من مرضه ، وان الروم ضعف عددهم .

فعلى بركـة الله — يا أخي — سنمضي في هـذه السلسلة « **فلعل الفـارس يعلو ظهر جواده ثانيـة ، ويعيد لامته عزتهـا** » . ولا يكون ذلك الا حينما نعود الى مدرسة القرآن ، فنجعل منـه

غذاءنا الفكري والروحي ، وتتخذ من سيرة النبي ﷺ وأصحابه قدوتنا وأسوتنا ، ولا نكون أقل من بذرة الشجرة الطيبة ، حين تحمل كل الصفات الوراثية الجميلة من أمها العظيمة ... لعل الابناء يتذكرون تاريخ الاجداد فينهجوا نهجهم : عزيمة وايمانا ، عدلا ومحبة ، انسانية ووجدانا ، وحدة وتحررا ، علما وعرفانا .

● ترى !!!...

أنشاهد بأم أعيننا رايات العروبة المؤمنة تسد السماء ؟ نشهدها تزدحم في الآفاق خفاقة ؟ تختال زهوا فوق الجيوش ، لتأخذ مكان الصدارة على قبب العواصم وفوق القلاع والجبال ، ونرى أمتنا من خليجها الى محيطها متوحدة متحررة متماسكة ؟؟..

● وأخيراً تحية اعجاب ، واحترام ، واجلال ، وخشوع ، وتقدير ... الى أبطال :

القادسية - اليرموك - نهاوند - ذات الصواري ...

وتحية حب وتقديس الى الابطال الذين ظللتهم الرايات الأولى ، وتحية حب وتقديس إلى الأبطال الذين ستظللهم الرايات عما قريب وهم يدخلون الى (قدسنا) لاعادتها الى حظيرة الأمة..

فالى « اليرموك » والى « خالدها » وعلى بركة الله .

دمشق :
٢٦ شعبان ١٣٩٠ هـ
٢٦ تشرين الاول ١٩٧٠ م

المؤلف :
شوقي أبو خليل



مصور
معركة اليرموك
اليرموك
وادي الرجان
تل الأشعري
غدوان
فرقة أبو عبيدة
الأصطلاحات

دولة الرومان

وأول اشتباك معهم « مؤتة » .

كانت دولة الروم ، الدولة الثانية في عظمتها في العالم كله ، توازي دولة الفرس في سعة الملك ، وقوة السلطان ، وازدهـار الحضـارة ، ولمـا قسم « تيودوسيوس » : ٣٩٥ ـ ٤٠٨ م ، الامبراطورية الى قسم غربي وآخر شرقي ، كان نصيب القسم الشرقي لابنه « رقاديوس » ، وسميت دولته « بدولة بيزنطة » ، فاذا اوردنا كلمـة : بيزنطة ، أو الروم ، او البيزنطيين ، فالمعنى واحد، نريد به الدولة البيزنطية الشرقية التي عاصمتها القسطنطينية، ولا شأن لنا في هذا الكتاب بدولة الروم الغربية التي عاصمتها روما.

توالى القياصرة في القسطنطينية ، حتى حكم « هرقل » ، الذي كان قبل أن يتولى الملك واليا على أفريقية[1] ، ثم خرج متمردا على « فوقا » فقتله وتوج بعده بالملك سنة ٦١٠ م ، وكان تحت كنفه بالشام العرب اللخميون ، وبنو تغلب ، واياد ، وبنو بكر ، وبنو عذرة ، وبنو عدوان ...

ومناوشات المسلمين مع الروم ، بدأت منذ أيام رسول الله ﷺ ، بدأت بعد أن ارسل النبي ﷺ رسائله الى ملوك وحكام البلاد ، خارج الجزيرة العربية يدعوهم فيها الى الدين الحنيف ،

---

(١) وهرقل هو الملك الذي سقطت من يده سورية بيد المسلمين الفاتحين .

والاهتداء بنوره ، وترك الوثنية وظلم الانسان لاخيه الانسان ، فلا عبد ولا سيد مستعبد ، فكان رد بعضهم طيبا « كالمقوقس والنجاشي » ، وكان رد بعضهم الآخر قاسيا ، فقد طرد كسرى الوفد الذي كان برئاسة الصحابي الجليل : عبد الله بن حذافة السهمي • أما امير الغساسنة الذي يهمنا في هذا الكتاب أمره ، والذي كان خاضعا للبيزنطيين وأسمه « الحرث بن أبي شمر الغساني » فقد قبض على رسول رسول الله ﷺ فقتله ، قتل الامير الغساني رسول النبي وهو : « الحارث بن عمير الازدي » وليس هكذا تعامل الوفود ، لا قديما ولا حديثا ، فكان لزاما على النبي ﷺ ارسال جيش للاقتصاص من الامير الغساني ، الذي لم يعرف آداب ولياقة استقبال الوفود ، كان لا بد من الجزاء لهذا الامير الذي تناسى — وعن عمد — أن الوفود لا تقتل مهما عملت ، ومهما تكلمت ، فهذا عرف دولي تجاهله وتغافل عنه • قتل الامير الغساني « الحارث » وهو يقول : « **من ينزع مني ملكي ، أنا سائر اليه** » ، فكان من المختم تسيير جيش ليفهم الامير ان أمر هذه الامة قد تبدل ، واستكانتها أصبحت قوة محررة فاتحة ، كان من الضروري خروج جيش من جزيرة العرب ، كي لا يغزى الاسلام في عقر داره ، تطاولا وسوء تقدير ، من الامير الغساني •

لما سبق ، سير النبي ﷺ في جمادى الاولى سنة ٨ للهجرة ، (٦٢٩ للميلاد) جيشا متواضعا من حيث العدد ، ضخما من حيث اليقين والايمان • سير ﷺ جيشا بقيادة بطل يافع ملأ الايمان

قلبه ، وملأت محبة رسول الله جميع ارجاء روحه انه « زيد بن حارثة » ، وقال النبي ﷺ : « ان أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فان أصيب جعفر ، فعبد الله بن رواحة على الناس » .

سار الجيش بقيادة زيد ، وعدده ثلاثة آلاف فقط[1] ، **وودع زيد رسول الله والدموع في عينيه ، لا خشية الموت ، لانه خارج لملاقاته ؛ بل دمعت عيناه ، لانه استشف في روحه وقلبه ، انه لن يرى رسول الله في هذه الدنيا ، بعد يومه هذا .**

سمع الروم بقدوم هذا الجيش الذي خرج اليهم ، فأعدوا له عدة كأنهم يعدونها لدولة الفرس ، فكان مجموع ما جمعوا من الروم والعرب (٢٠٠ الف) على أقل تقدير ، وكيف تتمكن فئة عددها (٣ آلاف) فقط ان تجابه هذه القوة ؟

لقد رتب رسول الله قادة المعركة ، فعلم المسلمون ان الغيب ربما يخفي شيئا ، فكان هذا الظن في خلد كل مسلم في المدينة المنورة ، خاصة بعد أن تأخرت الاخبار ، فالجميع في حاجة الى أخبار مطمئنة من رسول الله ، وفي مقدمة الجميع أهل بيت القادة الثلاثة .

جلس النبي ﷺ في محراب مسجده الشريف ، بعد صلاة عصر ، وقد ادار وجهه الطاهر الكريم الى المصلين ، وقد علته الحمرة ، وغلبته الرعشة والحزن ، فارتاع المسلمون لمشهد رسول

---

(١) راجع : الكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ١٥٨ .
ـ الطبري ، ج : ٣ ، ص : ١٥٨ .
ـ ابن خلدون ، المجلد الثاني ، ج : ١ ، ص : ٣٦ .
ـ وكتب السيرة كلها .

الله ، وكأنه ينظر بعينيه الى ملحمة حامية ، تدور رحاها بين ثلاثة آلاف من جنده ، وبين مائتي الف من أعدائه ، وكادت الدائرة تدور على جنده ... فأخذ يقول صلوات الله عليه والمسلمون في دهشة وعجب :

ـ أخذ الراية زيد بن حارثة ، فقاتل بها حتى قتل شهيدا ... ثم أخذها جعفر ، فقاتل بها حتى قتل شهيدا(١) ، وصمت برهة ، فتغيرت وجوه الانصار ، انهم جميعا يريدون استشهاد عبد الله بن رواحة لكسب هذا الشرف العظيم ، وظنّ الانصار انه قد كان في عبد الله بن رواحة ـ وهو منهم ـ بعض مايكرهون ... ولم يطل الانتظار حتى استأنف رسول الله حديثه فقال : **ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدا ...** عند ذلك هتف الانصار من أعماقهم : الله اكبر ، فرددت معهم جنبات المسجد : الله اكبر .. انهم خشوا الا يشاركوا المهاجرين (وزيد وجعفر مهاجران) فخر الاستشهاد في هذه الغزوة ، فكان فرحهم بشهادة عبد الله ، بمقدار حزنهم على فراقه وفقده .

ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ألا وهو : **خالد بن الوليد** ، الذي تراجع بالجيش ، فظن الروم والعرب الذين معهم انها خدعة فانسحبوا . وخالد ـ رضي الله عنه ـ سيكون بطل « اليرموك » . لقد تمكن خالد بمهارته وحنكته الحربية أن ينسحب ، ولم تجرؤ الروم على مطاردته خوفا من كمين ينصب لهم في الصحراء .

---

(١) الكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ١٦٠

تبوك

« لقـد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصـار الـذين اتبعـوه في ساعـة العسرة ... » ٩/١١٧ .

« صدق الله العظيم »

تطاول الروم وظنوا ان النصر قد تحقق لهم ، وطمعوا أن يسحقوا الدعوة في مهدهـا في المدينة ، فترامت الانبـاء الى رسول الله ﷺ أن الروم يحشدون قواتهم على حدود فلسطين ، للزحف على المدينـة ، فجهز ﷺ جيشاً في رجب مـن السنة التاسعة ، ويسمى هـذا الجيش جيش العسرة ، لان التـأهب للخروج ، كان في زمن عسرة من الناس ، وشدة من الحر ، وجدب من البلاد ، وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص على هذا الحال من الزمان الذي هم فيه ، ولكن أمر الرسول ، أحب اليهم من ثمارهم وظلالهم ، فأنفق الكرام ما يتجهز به ضعفاء الحال[1] .

خرج رسول الله ﷺ ، حتى وصل بجيشه وقدره (٣٠ ألف) الى تبوك ، وهناك جاء النبي ﷺ يحنةُ بن رؤبة صاحب

(١) سنخصص جزءاً خاصا بتبوك ان شاء الله ، راجع لهذا البحث :
ـ الكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ١٨٩ .
ـ الطبري ، ج : ٣ ، ص : ١٠٠ .
ـ وكتب السيرة كلها .

« ايلة » ، فصالح واعطى الجزية • ثم جاء أهل « جرباء » وأهل « أذرح » فأعطوا الجزيـة ، والجزيـة هي مقـابل الحمـاية ، لنتمعـن مثـلا كتـاب النبي ﷺ (ليـحنّـة) : « بسـم الله الرحمـن الرحيـم : **هذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل ايلة سفنهم وسياراتهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمـة محمـد النبي ومـن كـان معهم مـن أهل الشـام وأهل البحر ..** »(١) •

ثم بعث النبي ﷺ ـ وهو بتبوك ـ خالد بن الوليد الى « أكيدر » وهو في (دومة الجندل) ، فذهب اليه واسره ، وجاء به الى الرسول ﷺ فحقن له دمه وصالحه على الجزية ، ثم خلّى سبيله فرجع خالد الى «دومة الجندل» وبقي «أكيدر» عليها أميرا •

أقام المسلمون بتبوك بضع عشرة ليلة ، لم يجدوا أثناءها أي جيش رومي ، حيث انسحب شمالا خوفا ورعبا من الثأر ، فرجع الجيش الى المدينة • وهذه الغزوة ، آخر مرة خرج بها رسول الله ﷺ محاربا غازيا •

كما جهز ﷺ جيشا بقيادة « أسـامة بن زيـد » ليسيره الى الشام ، لكن النبي الكريم ، لحق بالرفيق الاعلى قبل تسييره لجيش اسامة •

* * *

(١) في الجزء الاخير من هذه السلسلة ، سنوضح ونناقش معنى وواقع بعض الكلمات مثل : الذمة والجزية ... باذن الله ...

مظاهر قوة

« الا لا يبقين بالمدينة أحد من جند اسامة الا خرج الى عسكره بالجرف »

ولما تولى أبو بكر الخلافة ، كان اول عمل قام به ، انه أرسل مناديا ينادي : ليتمّ بعث أسامة ، ألا لا يبقين بالمدينة أحد من جند أسامة ، الا خرج الى عسكره بالجرف . فكيف أرسل أبو بكر هذا الجيش ؟ والناس يقولون له : قد ارتدت العرب ، اما عامة ، واما خاصة في كل قبيلة ، ونجم النفاق ، واشرأبت اليهود والنصارى ، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية ، لفقد نبيهم ﷺ وقلتهم ، وكثرة عدوهم ، ان هؤلاء جل المسلمين والعرب — على ما ترى — قد انتقضت بك ، فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين . فقال ابو بكر : « والذي نفس أبي بكر بيده ، لو ظننت أن السباع تخطفني ، لانفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ولو لم يبق في القرى غيري لانفذته » .

وحاول الانصار تأخير الجيش ، لتوجيهه الى حرب المرتدين ، فأبى الصديق . قال عمر للصديق : « يرى الانصار لو أمّرت[1] رجلا أقدم سنا من أسامة » فوثب أبو بكر — وكان جالسا — فأخذ بلحية عمر، وقال له : ثكلتك امك وعدمتك يا ابن الخطاب، استعمله

---

(١) يظهر هنا تقدير الاسلام للشباب .. لأنهم على اكتافهم تبنى الدول ، فهذا اسامة الشاب قائد جيش فيه كبار الصحابة قدرا وسنا .

رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزعه ؟ فخرج عمر الى الناس ، فقالوا له : ما صنعت ؟ فقال : ثكلتكم أمهاتكم ! ما لقيت في سبيلكم من خليفة رسول الله ؟».

خرج الصديق وشيع الجيش ماشيا[1] وأسامة راكب ، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر ، فقال له أسامة : ياخليفة رسول الله والله لتركبن او لانزلن ! فقال الصديق : والله لا تنزل ووالله لاأركب ! وما علي أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة ؟ ثم وقف الصديق يحدد بكلمات واضحة خالدة انسانية حروب امتنا ، فكأنه وضع دستورا لحروب هذه الامة ، أصبح نهجا تفخر به ، اذ ان هذا الفكر ، لم تصل اليه الدول حتى في ايامنا الحاضرة ، قال الصديق:

« يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني : لا تخونوا ولا تغلوا[2] ، ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، ولا تعقروا[3] نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأكله ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا انفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها الوان الطعام، فاذا أكلتم منها شيئا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها . وتلقون أقواما قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب ، فاخفقوهم بالسيف خفقا . اندفعوا باسم الله »[4] .

---

(١) تظهر في هذه الصورة « اخلاق رجل الدولة وتواضعه » دون ان ينتقص ذلك من قدره شيئا ، بل على العكس هذا يزيده خلودا ورفعة وتقديرا ...

(٢) من « اغل » خان . ولا تغلوا لا تخونوا .

(٣) عقر النخلة : قطع رأسها .

(٤) الكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٢٢٧ .

وقد ركزت على تسيير هذا الجيش لسببين :

● **الاول** : إن هذه الوصية لم يعهد العالم مثلها ، لقد شهد العالم فاتحين كثراً ، ولكنه لم يشهد مثل انسانية الفتوحات الاسلامية[1] . فمن كلمات أبي بكر في وصيته دستور فتوحاتنا ، وهي غاية الحرص على الارواح ، وارقى غايات الانسانية في الحفاظ على الثروة الطبيعية ، فهي تنطق بصريح العبارة : لا تقاتلوا الا جند الاعداء ، ولا شأن لكم بالاطفال والشيوخ والنساء .

كيف لا تكون هذه الكلمات دستور فتوحات هذه الامة وقد توجت بـ « لا تخونوا ولا تغلوا » ؟ واذا كان جند الفتح لا يخونون ولا يغلون اعداءهم ، فكيف هم فيما بينهم ؟ انهم صفوة البشر ، وكفاهم فخرا انهم خاضوا فتحا وحربا فيها انسانية واحترام للشعوب، وحفظ لزرعهم وثروتهم الحيوانية، « ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأكله » ، **فهنيئا للامم بعدالة الاسلام ورحمته** ، التي شملت كل شيء حتى الحيوان والنبات .

● **والسبب الثاني** : ان الصديق علم علم اليقين ، ان العرب في ردة ، وهو بحاجة الى هذا الجيش ، جيش أسامة ، فليس من قال للصديق : « فليس ينبغي لك ان تفرق عنك جماعة المسلمين » قصير النظر ، لا ، فمن قال هذا كان بعيد النظر ، ولكن الصديق

---

(١) سنقارن في الجزء الاخير من هذه السلسلة حروبنا العربية الاسلامية مع الحروب الاخرى التي شهدها العالم ، لنرى هل هذه الحروب انسانية خيرة ؟ وهل كان الاسلام في فتوحاته انسانيا خيرا كما نقول ، أم لا .

كان أبعد منه نظرا ، يريد افهام من يطمع بهذه الامة ابادة وخسفاً ـ خاصة بعد سماعهم انباء الردة ـ ان هذه الامة راسخة البنيان ، قوية في ذاتها ، متينة رغم الردة ، فليس فيها ما يجعل خليفتها يؤخر جيشه ليسير الى الاعداء ، يريد اقناع وافهام الدولتين الكبيرتين ـ **الفرس ، والروم** ـ أن لو كان أمر الردة أمراً جللاً ، لاحتفظت بهذا الجيش ، بل لو كان الامر جللا ومن الاهمية بمكان، وكان الجيش خارج الجزيرة ، لاستدعيته لتهدئة الاحوال الداخلية، **أليس الصديق رضي الله عنه أمام مظاهرة قوة ،** مظاهرة دعائية أفهم بها الروم والفرس ، ان دولته بخير ، والامر على غير ما يتصورون، رضي الله عنه ، من أي مدرسة أو اكاديمية حرب تخرج ؟

هذا خارجيا ... أما داخليا ، فبالتظاهرة نفسها ، أفهم الصديق المرتدين والمتنبئين وأقنعهم ، بانه من القوة بشكل يجعله يقضي على دجلهم بسهولة ، وانه لديه من القوات ، ما يكفيه حربهم . فماذا عمل رضي الله عنه بمعنوياتهم ؟ ألم يحطمها ؟ ألم يشعرهم بثقته بنفسه ، ويقينه بالنصر ؟ وأشعرهم بضعفهم وغوغائيتهم !

رضي الله عن الخليفة الاول ، لقد درس هذه الفنون الحربية والنفسية ، وهذه الخطط الرائعة العظيمة من « أكاديمية حربية » خالدة ، درسها عند رسول الله ﷺ .

وفي الحقيقة ، ما كان تقدير الصديق خطأ ، بل كان عين الحكمة ، ومحض الصواب ، واخيرا لا يغرب عن ذهننا ، انه **بتسيير جيش اسامة ، طاعة ما يعدلها طاعة ، انها طاعة الصديق لامر رسول الله ﷺ** فالنبي هو الذي جهز هذا الجيش وعقد عقاله واني للصديق حل هذا العقال .

رَايات تخفق

تسيير الجيوش الى الشام ، انها الرايات الاربع ، أمام الوية أربعة ، على رأس كل منها ليث من ليوث هذه الامة ، يزحف امام اشباله وقد خرجوا من العرين متحفزين ...

بعد الانتهاء من حروب الردة ، وتسيير خالد من « اليمامة » الى العراق في سنة ١٣ هـ . جهز الصديق الجيوش الى الشام ، فبعث عمرو بن العاص الى فلسطين ، وسير يزيد بن ابي سفيان ، وأبا عبيدة بن الجراح ، وشرحبيل بن حسنة ، آمرا اياهم أن يسلكوا تبوك على البلقاء الى الشام[1] . وكان عدد كل لواء من هذه الالوية الاربعة ثلاثة آلاف ، ثم توالت النجدات فيما بعد .

وصل الامراء الى الشام ، فنزل ابو عبيدة « الجابية » على طريق دمشق ، ونزل يزيد البلقاء مهددا « بصرى » ، ونزل شرحبيل الاردن بأعلى الغور فوق طبرية ونهر الاردن — وقيل نزل في بصرى — أما عمرو فقد وصل الى وادي « عَرَبَة » .

عَيَّن الصدّيق لكل منهم الولاية التي يتولاها بعد الفتح ،

---

(١) الكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٢٧٦ . وابن خلدون ، المجلد الثاني ، ج : ١ ، ص : ٨٢ .

فجعل لعمرو فلسطين ، وليزيد دمشق ، ولابي عبيدة حمص ، ولشرحبيل الاردن .

سار الامراء الليوث الى أهدافهم ، وعكرمة بن ابي جهل ردء[1] للناس ، فبلغ الروم ذلك ، فكتبوا الى هرقل ، فجاء من حمص ، وأعد هرقل الجند وجمع العساكر ، وأراد ان يشغل قواد المسلمين بعضهم عن بعض لكثرة جنده وفضول رجاله ، اراد ان يحاربهم متفرقين لكن عمرا تنبه للامر ، وبخاصة بعد ان ارسل هرقل أخاه « تذارق » في تسعين ألفا ، فوصل « تذارق » (ثنية جلق ، بأعلى فلسطين) . كما بعث هرقل « جرجة بن توذرا » نحو يزيد بن ابي سفيان فعسكر بازائه ، وبعث « الدراقص » فاستقبل شرحبيل بن حسنة ، وبعث هرقل أيضا « الفيقار بن نسطوس » في ستين الفا نحو أبي عبيدة ، فهابهم المسلمون وخاصة ان جميع ألويتهم تعد واحدا وعشرين الفا ، باستثناء عكرمة فهو في ستة آلاف أيضا ، فالمجموع سبعة وعشرون الفا . فسأل الجميع بكتب مستعجلة عمرا بن العاص : ما الرأي ؟ فكاتبهم وراسلهم ان الرأي الاجتماع ، وذلك ان مثلنا اذا اجتمع لم يغلب من قلة ، واذا نحن تفرقنا ، لم يبق الرجل منا في عدد يقرن[2] فيه لاحد ممن استقبلنا وأعد لنا ، لكل طائفة منا ، فاتعدوا اليرموك ليجتمعوا به .

كما كتب الامراء الى أبي بكر بمثل ما كاتبوا عمرا ، فطلع عليهم كتابه بمثل رأي عمرو ، أن اجتمعوا فتكونوا عسكرا واحدا ،

---

(١) ردء لهم ، معين وناصر وداعم لهم .
(٢) اقرن له : اذا غلب عليه .

والقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين ، فانكم أعوان الله ، والله ناصر من نصره ، وخاذل من كفره ، ولن يؤتى[1] مثلكم من قلة ، وانما يؤتى وتغلب عشرة الآلاف ، والزيادة على عشرة الآلاف ، اذا أتوا من تلقاء الذنوب ، فاحترسوا من الذنوب ، واجتمعوا باليرموك متساندين ، وليضل كل رجل منكم بأصحابه ٠

بلغ ذلك هرقل ، فكتب الى بطارقته إن اجتمعوا لهم ، وانزلوا بالروم منزلا واسع العطن[2] ، واسع المطرد[3] ، ضيق المهرب ، وعلى الناس « التذارق » ، وعلى المقدمة (جرجة) ، وعلى مجنبتيه « باهان » و « الدراقص » ، وعلى الحرب الفيتار ، فابشروا فان « باهان » في الاثر مدرء لكم ٠ ففعلوا ، فنزلوا الواقوصة — وهي على ضفة اليرموك — وصار الوادي خندقا لهم ، وهو لهب[4] لا يدرك ، وانما أراد باهان وأصحابه أن يستثبت الروم ، وترجع اليهم أفئدتهم عن طيرتها وتشاؤمها ٠

انتقل المسلمون من عسكرهم الذي اجتمعوا به ، فنزلوا عليهم بحذائهم على طريقهم ، وليس للروم طريق الا عليهم ، فقال عمرو : **أيها الناس ، ابشروا ، حصرت والله الروم ، وقلما جاء محصور بخير !** اذ أن الروم تتحرك في منبطح فسيح من الارض ، تحيط به من ثلاث جهات الجبال المرتفعة ، فهم محصورون ٠

---

(١) يؤتى : يغلب او يهزم ٠

(٢) العطن : في الاصل مبرك الابل ومربض الغنم حول الماء ، والمراد هنا انزلوا مكانا فسيحا فيه ماء ٠

(٣) المطرد : الطويل ، يقال يوم مطرد ، يوم طويل والمراد هنا مكان فسيح طويل ٠

(٤) لهب : بكسر اللام : الفرجة بين الجبلين ٠

وبقي المسلمون أمامهم صفر من سنة ثلاث عشرة ، وشهري ربيع لا يقدرون من الروم على شيء ، ولا يخلصون اليهم ، اللهب ــ وهو الواقوصة ــ من ورائهم ، والخندق من امامهم ، ولا يخرجون خرجة الا اديل[1] المسلمون منهم ، حتى اذا سلخوا ربيع الاول ، وقد استمدوا أبا بكر وأعلموه الشأن في صفر ، فكتب الى خالد ليلحق بهم ، وأمره ان يخلف على العراق المثنى .

علم الصديق خطر المعركة ، وحرج الموقف ، وقلة عدد جيشه ، وكثرة عدد جيش عدوه ، فاختار لهذه المعركة الحاسمة : بطل حروب الردة ، وقاهر الفرس ، وسيف الله المسلول ، **وقال ابو بكر لاصحابه : « خالد لها » ثم قال رضي الله عنه كلمات ما قرأتها مرة أو سمعتها ، الا لمست فيها العزة ، ورأيت فيها الكرامة ، واستشففت منها أسمى معاني الكبرياء قال : والله لانسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد ،** وكتب الصديق لخالد : سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك فانهم قد شجوا وأشجوا[2] .



---

(١) اديل لنا على اعدائنا ، اي نصرنا عليهم ، وكانت الدولة لنا .

(٢) اي ان المسلمين ضاقوا بعدوهم ، وضيقوا عليه ، والشجا : الغصص ، فكان بعضهم لبعضهم كالشجا في الحلق .

الطريق إلى الشام

« خــالد : ان المسلم لا ينبغي لــه
أن يكتــرث لشيء يقع فيــه مــع معونـة
الله له ... » .

ـ من أين الطريق الى الشام ؟ فخالد بحاجة الى طريق قصير أمــين !

كان على خالد أن يختار بين طرق عدة :

١ ـ اما ان يتخطى البادية من « عين التمر » الى شمال الشام، ولكنه طريق ـ مع قصره ـ خطير حيث كان العرب في تلك الجهات موالين لهرقل ، والاشتباك معهم يؤخر وصول الجيش ويرهقه .

٢ ـ ان ينحدر الى الجزيرة العربية ثم يسير بطريق عكرمة وابي عبيدة نفسه ، فهو طريق آمن لا تحفه المخاطر ـ كالطريق الاول ـ الا انه طويل ، فيمنع خالداً من سلوكه تشوقه للوصول لنجدة المسلمين ولقاء الروم .

٣ ـ أن ينجدر بجيشه مــن « عين التمر » الى « دومــة الجندل » ، وهذا طريق سلكه خالد سابقا ، فعرفه أيام غزوة تبوك، وعرفه يوم نجدة « عياض بن غنم » ، وهو الطريق البعيد عــن المخاطر ـ وخاصة خطر القبائل الموالية لهرقل فاذا قابلهم أضاع

الوقت معهم وتأخـر ــ فسلك خالد هـذا الطريق ، جاء مـن « عين التمر » الى دومة الجندل ، ثم الى وادي السرحان فتوقف وقال : كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جمع الروم ، فاني ان استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين • فأجابه رجاله : اننا لا نعرف الا طريقا لا يحمل الجيوش ، وانما يأخذ الفذ الراكب ، فاياك أن تغرر بالمسلمين ، أي : ليس في هذا الطريق مياه كافية ، تفي بحاجة جيش عدده تسعة آلاف •

هـذا تحـذير له خطورته ••• ولكن عزيمـة خالد تذلل مشقة وخطورة هـذا الطريق ، ان ارادة خالـد تقوى وتزيـد وتشتد بزيادة الصعاب حتى تذللها ، فأجاب خالـد رجـاله : **« لا يختلفن هديكم ، ولا يضعفن يقينكم ، واعلموا ان المعونة تأتي على قدر النية ، والاجر على قدر الحسبة ، وان المسلم لا ينبغي له ان يكترث لشيء يقع فيه مع معونة الله له »**(١) •

فأثارت كلمات خالد هذه ، حمية جنـده ، فقالوا في تسليم المستيقن أن المعونة من الله : « أنت رجل قد جمع الله لك الخير فشأنك » • فطلب خالد من رافع بن عميرة الطائي ان يقود الناس ، فقال رافع : (انك ــ يخاطب خالد ــ تطيق ذلك بالخيل والانفال ؛ والله ان الراكب المفرد يخشى فيها على نفسه ، انها لخمس ليـال لا يصاب فيها ماء) ، وعلى الرغم من ذلك ، وعلى الرغم من كلام

---

(١) راجع الكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٢٧٩ • والبداية والنهايـة ، ج : ٧ ، ص : ٦ •

رافع ، عاد خالد يؤكد ما استقر عليه رأيه : « لا بد والله من ذلك فمر بأمرك » .

وسقط في يد رافع ، ولم يجد مفرا من التنفيذ ، فقال : « استكثروا اذن من الماء من إستطاع منكم أن يصر أذن ناقته على الماء فليفعل ، فانها المهالك الا مادفع الله » .

وهكذا نرى ان الطريق خطير ، ولكن خالدا ورافعا ، بقي قلباهما متعلقين بالله وبفضله، للخلاص من هذه الطريق بخير وسلام.

وجاءوا بابل سمان[1] وظمأوها ثم اوردوها المـاء ، فلما امتلأت ، صروا آذانها وشدوا مشافرها[2] لئـلا تجتر ، وانطلق الجيش بقيادة سيف الله ، وارشاد رافع بن عميرة .

وكانت رحلة يكفي وصفها بكلمة « قاسية » ...

فكان الجند كل يوم ينزلون عن خيلهم ، فيأكلون ويشربون ، ثم يشقون بطون الابل ، ويخرجون منها الماء فيسقون الخيل . وفي اليوم الخامس نادى خالد على رافع : « ويحك يارافع ماعندك ؟ » فقال رافع : « خير أدركتم الري ان شاء الله وانتم على الماء » ثم قال رافع : « أيها الناس ، انظروا علمين[3] كأنهما ثديان » ، فلما أتوهما قال : « انظروا هل ترون شجيرة من عوسج كقعدة الرجل؟» قالوا : « ما نراها » ، قال : « انا لله وانا اليه راجعون ، هلكتم اذن

(١) وعددها عشرون جزورا .

(٢) مشافرها : مفردها مشفر بكسر الفاء وهي شفة البعير .

(٣) علمين : جبلين .

والله وهلكتُ .. لا أبا لكم ... اضربوا يمنة ويسرة » فنظروا فوجدوا الشجرة وقد قطعت وبقيت منها بقية ، فقال رافع : « احفروا في أصلها » فحفروا ونبع الماء ، فقال رافع عندما نبع الماء : « والله ما وردت هذا الماء قط ، الا مرة واحدة مع أبي وأنا غلام »[1] . شرب الجند ، وكيف لا يهتدون الى الماء وعين العناية الالهية ترعاهم وتكلؤهم ؟!... فهم جند الله الاخيار ، قلوبهم معه وارواحهم منورة بنوره .

تقدم خالد بجيشه فدخل « سوى[2] » ثم الى تدمر ، وانحدر الى « اذرعات » وأغار على غسان في مرج راهط . واتصل بأبي عبيدة وشرحبيل ويزيد على قناة بصرى ، وتقدمهم واقتحموا جميعا بصرى ، ثم ساروا جميعا الى فلسطين مددا لعمرو بن العاص ،

(١) ومما قيل عند وصول المسلمين الى الماء :

لله در رافع أنى اهتدى	فوز من قراقر الى سوى
خمسا اذا ما سارها الجيش بكى	ما سارها قبلك انسي يرى

« البداية والنهاية ، ج : ٧ ، ص : ٦ » .

(٢) ومما يذكر قبل دخول « سوى » ان احد اهالي سوى جلس يغني ويشرب والناس من حوله : ومما قاله هذا المغني المخمور :

الا عللاني قبل جيش أبي بكر	لعل منايانا قريب وما ندري
الا عللاني بالزجاج وكروا	على كميت اللون صافية تجري
الا عللاني من سلافة قهوة	تسلي همومالنفس منجيد الخمر
اظن خيول المسلمين وخالدا	ستطرقكم قبل الصباح منالبشر
فهل لكم في السير قبل قتالهم	وقبل خروج المعصرات من الخدر

والمعصرات : الجواري اللواتي في العشرين . ويقول اهل « سوى » ان مغنيهم هذا قتل فعلا عند دخول خالد للمدينة ، وسال دمه في جفنة الخمر التي كان يشرب بها .

واكتمل عقد المسلمين جميعا عند اليرموك .

ومما يجدر ذكره ، أن خلافا وقع بين المؤرخين عند كتابة تاريخ هذه الفترة ، فقد روى : الازدي والبلاذري والواقدي ان اليرموك هي آخر المعارك في بلاد الشام ، أي حصار دمشق وحمص وموقعة اجنادين قد تم هذا كله قبل اليرموك ، ويخالف هذا ماذكره الطبري في تاريخه ، والارجح هو الرأي الاول ، حيث أن ابا عبيدة ويزيد نزلا عند قدومهما من الجزيرة شمال اليرموك ، فالفترة التي قضوها هناك قبل اليرموك ، كانوا فيها في فتح باتجاه الشمال حتى حاصروا دمشق قبل اليرموك ، ثم انسحبوا جميعا ــ الى اليرموك ــ للتجمع مع الالوية الاخرى . وان كان خالد وابو عبيدة سيحاصران دمشق بعد اليرموك ، خالد على الباب الشرقي وأبو عبيدة على باب الجابية .

فرح المسلمون بخالد ، وزاد جدهم ويقينهم بالنصر ، واشتد غضب الروم بمجيئه ، ولما علم هرقل بمجيء خالد (رضي الله عنه وارضاه) جمع أصحابه وقال : **ألم أقل لكم لا تقاتلوهم ، فانه لا قوام بكم على هؤلاء القوم ، ان دينهم جديد ، يجدد لهم ثبارهم**(١) **، فلا يقوم لهم احد حتى يبلى ؟..** فغضب أصحابه وقالوا له: **« قاتل ولا تجبن الناس ، واقض الذي عليك »** ، ونلاحظ هنا **ان** هرقل في اليرموك يمثل دور رستم في القادسية ، بمعنوياته المنهارة ، ولكن هرقل علم أنه لا قبل له بهؤلاء الابطال فقال :

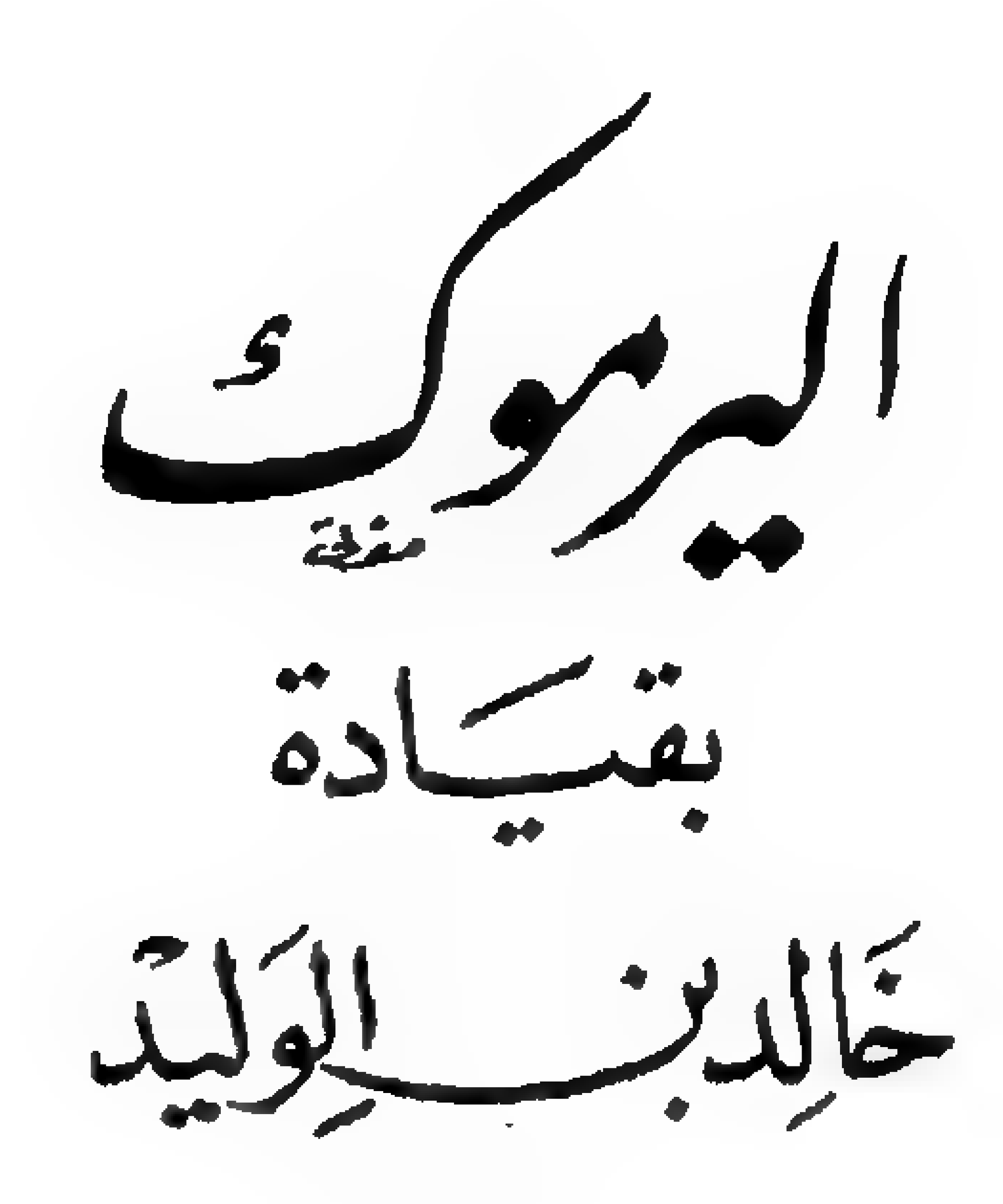
---

(١) ثبار : المواظبة والثبات .

« أرى من الرأي الا تقاتلوا هؤلاء القوم ، وأن تصالحوهم ، فوالله لان تعطوهم نصف ما أخرجته الشام ، وتأخذوا نصفه ، وتقر لكم جبال الروم ، خير لكم من ان يغلبوكم على الشام ، ويشاركوكم في جبال الروم » • كيف لا يقول هرقل هذا وهو أعلم بنفسيات جنده المحطمة ، فقد قال له كبار قواده عندما كان في فلسطين : « لقد أتتك العرب وجمعت لك جموعا عظيمة ، وهم يزعمون ان نبيهم الذي بعث اليهم ، أخبرهم انهم يظهرون على أهل هذه البلاد ، وقد جاؤوك وهم لا يشكون ان هذا يكون ، وجاؤوك بأبنائهم ونسائهم تصديقا لمقالة نبيهم ، يقولون : لو دخلناها وافتتحناها نزلناها بأولادنا ونسائنا » فقال لهم هرقل وقتئذ : « ذلك أشد لشوكتهم ، اذا قاتل القوم على تصديق ، فما أشد على من كابدهم أن يزيلهم أو يصدهم » •

ومما زاد في حيرة هرقل وارتباكه ، وحيرة جنده وارتباكهم : أنه أشاع بعض الروم في بلاد الشام ــ وهم متيقنون ، كأنهم يصفون شيئا مشاهدا ــ ان خالدا في يده سيف نزل من السماء ، أعطاه له رسول الله ، فلا يقاتل به قوما الا انتصر عليهم • أليست هذه الكلمات كافية ليجد الرعب مسكنا مناسبا له في قلوب الروم؟•

الجو مهيأ لبدء المعركة ، فالطرفان اتخذا استعداداتهما ، الروم في اربعين ومائتي الف ، منهم ثمانون ألفا مقيدين بالسلاسل كي لا يفروا أثناء المعركة ، والمسلمون : سبعة وعشرون ألفا ممن كان مقيما ، الى ان قدم عليهم خالد في تسعة آلاف فبلغوا : ستة وثلاثين الفا • ومما يذكر : ان الصديق في هذه الاثناء ، مرض وتوفي للنصف من جمادى الآخرة ، قبل الفتح بعشر ليال •



معركة حاسمة في تاريخ هـذه الامـة ، تحتاج الى قائـد جسور جريء ، لا يعـرف في حربه هـوادة ، او ترددا او احجامـا ، تحتاج الى قائد لا يهاب الموت ، ولا يحسب له حسابا ، بل لا يخطر بذهنه ، وانما يفكر ويقرر ويضرب وينتصر ... وكلمة الصديق تكفي : « خالد لها » ..

استعدادات

● قدم خالد من العراق بسرعة خاطفة ، يمكن اعتبارهـا بحق ، في غاية الاعجاز والحنكة ، فوجد المسلمين يقاتل كل منهم متساندا مع الآخر ، لكل أمير جنده ، لا يجمعهم أحد ، بل عسكر أبي عبيدة ، يجاوره عسكر عمرو بن العاص ، وعسكر شرحبيل ، مجاور لعسكر يزيد بن أبي سفيان . ولما جاء خالد عسكر على حده ، وصلى بأهل العراق ، وجرت اشتباكات ليست فاصلة ، مع

أن بعضها جعل الروم يتراجعون الى « الواقوصة » ، فلزموا خندقهم عامة شهر ، يحضهم الرهبان ، حتى خرجوا للقتال في جمادى الآخرة .

أحس خالد بخروجهم متساندين لقتالهم ، فسار خالد بين المسلمين وقال بعد أن حمد الله واثنى عليه : « ان هذا يوم من أيام الله ، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي ، أخلصوا جهادكم ، وأريدوا الله بعملكم ، فان هذا يوم له ما بعده ، ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبية ، على تساند[1] وانتشار ، فان ذلك لا يحل ولا ينبغي . وان من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا، فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون انه الرأي من واليكم ومحبته » . قالوا : « هات ، فما الرأي ؟ » قال رضي الله عنه : **« ان أبا بكر لم يبعثنا الا وهو يرى انا سنتياسر ، ولو علم بالذي كان ويكون ، لجمعكم ، ان الذي انتم فيه ، أشد على المسلمين مما قد غشيهم ، وأنفع للمشركين من أمدادهم ، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم ، فالله الله ، فقد أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه ان دان لاحد من أمراء الجنود ، ولا يزيده عليه أن دانوا له ، ان تامير بعضكم لا ينتقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله ﷺ . هلموا فان هؤلاء تهيؤوا ، وهذا يوم له ما بعده ، ان رددناهم الى خندقهم اليوم لم نزل نردهم ، وان هزمونا لم نفلح بعدها . فهلموا فلنتعاور[2] الامارة ، فليكن عليها بعضنا اليوم ، والآخر غدا ، والآخر بعد غد ، حتى يتأمر كلكم ، ودعوني اليكم اليوم » .**

---

(١) تساند : أي على رايات شتى ولم يجتمعوا على راية واحدة أو تحت راية أمير واحد .

(٢) نتعاور : نتداول . والمراد أن يستلم القيادة العامة كل منهم فترة معينة .

فأمروه ، وهم يظنون ان الامر سيطول وسيتولون الامارة بالتداول • علم خالد ان القتال كل بفرقته سيطول ، وفيه اضعاف للجهود ، وتبذير في القوى ، وهدر للتكاتف ، فأراد التوحيد تحت امرة أمير واحد ، وكأنه ألهم ان المعركة لن تطول اذا توحدت الفرق ، واذا تولى هو القيادة ، بحنكته ودهائه الحربي ، وسيرى الجميع أن لهذه الوحدة في القيادة ، وفي وحدة الصف ، نتائج اولها النصر ، وكيف لا يكون النصر السريع ، ونابغة الحرب هو قائد المعركة ؟•

● ومما حطم معنويات الروم قبيل المعركة ، ان قائدهم ارسل رجلا من قضاعة ، يقال له ابن هزراف ، فقال له : ادخل في هؤلاء القوم — يعني جيش المسلمين — فأقم فيهم يوما وليلة ، ثم ائتني بخبرهم • فدخل ابن هزارف في جيش المسلمين، فأقام يوما وليلة ، ثم رجع الى قائد الروم ، فقال له القائد : ما وراءك ؟ قال : **بالليل رهبان ، وبالنهار فرسان ، ولو سرق ابن ملكهم قطعوا يده ، ولو زنى رجم ، لاقامة الحق فيهم** ،فقال القائد : **لئن كنت صدقتني ، لبطن الارض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها ، ولوددت أن حظي من الله ان يخلي بيني وبينهم ، فلا ينصرني عليهم ، ولا ينصرهم علي**(١) •

فكان أمثال هؤلاء العيون عونا للمسلمين على النصر ، فكلما رجع عين منهم الى جيش الروم ، ما تكلم كلمة الا ثبط همم جند الروم ، وجعل في انفسهم اليأس من النصر •

---

(١) هذا القائد هو « القبقلار » (بضم القاف والباء) وهو قائد جانب من جيش الروم ، وورد عنه في الطبري ، انه لما رأى من قتال المسلمين ماراى ، قال للروم: لفوا راسي بثوب ، قالوا له : لم ؟ قال : يوم بئيس ، لا أحب ان اراه ! ما رايت في الدنيا يوما اشد من هذا ! فاحتز المسلمون رأسه ، وانه لملفف •

نظام الكراديس

« نظام : مرن الحركة سريعها ، يرتبط الجندي فيه بأميره ، ويرتبط الامير بالقائد العام ... » .

عبأ خالد الجيش تعبئة لم يعبئها العرب قبلا ، أخرجت ذهنيته الحربية نظاما رائعا جديدا ، لا ندري من أين أخذه ، ولا ندري في أي « كلية حربية » درسه ، الا أن يكون اختراعه ، فأحكم الخطة وسدد خطاها ، ورتب الامور لها ترتيب البصير الخبير في الحرب وفنونها .

ورتب خالد الجيش ــ ولاول مرة في تاريخ هذه الامة ــ ترتيبا يجعله مرن الحركة سريعها ، مرتبطا جنديه بأميره ، وأميره بالقائد العام . قسم الجيش الى اربعين كردوسا[1] وقال : « ان عدوكم قد كثر وطغى ، وليس من التعبية تعبية أكثر من رأي العين من الكراديس » . والكراديس هذه ثلاثة أقسام : قلب ، وميمنة ، وميسرة ، حسب التوزيع التالي :

---

(١) وفي رواية ستة وثلاثين كردوسا ، والكردوس : القطعة العظمية من الخيل ، ويقال كردس القائد خيله ، أي جعلها كتيبة منه ، والمعنى هنا : قسم خالد الجيش الى كتائب كبيرة ، « وكردوس : بضم الكاف » .

ــ راجع الطبري ، ج : ٣ ، ص : ٣٩٦ ــ ٣٩٧ .

ــ والبداية والنهاية ، ج : ٧ ، ص : ٤ .

١ ـ ابو عبيدة قائداً لكراديس القلب ومعه ثمانية عشر كردوسا، وعلى هذه الكراديس الامراء التالية اسماؤهم :

٢ ــ القعقاع بن عمرو ــ على كردوس من كراديس اهل العراق •

٣ ــ مذعور بن عدي •

٤ ــ عياض بن غنم •

٥ ــ هاشم بن عتبة •

٦ ــ زياد بن حنظلة •

٧ ــ دحية بن خليفة •

٨ ــ امرؤ القيس[١] •

٩ ــ يزيد بن يحنس •

١٠ ــ أبو عبيدة بن الجراح •

١١ ــ عكرمة بن أبي جهل •

١٢ ــ سهيل[٢] •

١٣ ــ عبد الرحمن بن خالد ــ وهو يومئذ ابن ثماني عشرة سنة[٣] •

---

(١) امرؤ القيس هذا هو ابن عانس بن المنذر الحضرمي ، وفد الى النبي ﷺ ، ثم لما ارتدت حضرموت ثبت على اسلامه ، توفي سنة ١٥ هـ • « الاعلام ، ج : ١ ، ص : ٣٥٢ » •

(٢) لعله سهيل بن عمرو الذي تولى أمر صلح الحديبية ، والذي أسلم يوم فتح مكة ، مات بالطاعون في الشام سنة ١٨ هـ « الاعلام : ج ٣ ، ص : ٢١٢ » •

(٣) يذكرنا هذا « بجيش أسامة » ، ألم نقل ان الاسلام يقدر الشباب ، ويجعل لهم مكانة خاصة تليق بحيويتهم وشبابهم ، خاصة اذا نظم الايمان هذه الحيوية ؟!•• أليس لشباب هذه الامة قدوة بعبد الرحمن بن خالد ؟••

١٤ ـ حبيب بن مسلمة .

١٥ ـ صفوان بن أمية .

١٦ ـ سعيد بن خالد .

١٧ ـ أبو الاعور بن سفيان .

١٨ ـ ابن ذي الخمار[1] .

١٩ ـ وعلى كراديس الميمنة عمرو بن العاص ومعه أحد عشر كردوسا ، على هذه الكراديس الامراء التالية أسماؤهم :

٢٠ ـ عمارة بن مخشى بن خويلد .

٢١ ـ شرحبيل بن حسنة .

٢٢ ـ خالد بن سعيد .

٢٣ ـ عبد الله بن قيس .

٢٤ ـ عمرو بن عبسة .

٢٥ ـ السمط بن الاسود .

٢٦ ـ ذو الكلاع[2] .

٢٧ ـ معاوية بن حديج .

٢٨ ـ جندب بن عمرو بن حممة .

٢٩ ـ عمرو بن فلان .

٣٠ ـ لقيط بن عبد القيس بن بجرة .

---

(١) ذو الخمار اسمه « سبيع بن الحارث بن مالك الثقفي » .

(٢) ذو الكلاع : سميفع بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن ذي الكلاع الاكبر ، اسلم ولم ير النبي ﷺ قدم المدينة في زمن عمر ، شهد اليرموك وفتح دمشق ، ثم سكن حمص ، قتل في صفين في جيش معاوية (الاعلام جـ : ٣ ، ص : ٢٠٥)

٣١ ـ وعلى كراديس الميسرة يزيد بن أبي سفيان ومعه تسعة كراديس ، على هذه الكراديس الامراء التالية اسماؤهم :

٣٢ ـ الزبير بن العوام ـ فارس رسول الله •
٣٣ ـ حوشب ذو ظُلَيم[1] •
٣٥ ـ عصمة بن عبد الله •
٣٦ ـ ضرار بن الازور •
٣٧ ـ مسروق بن فلان •
٣٨ ـ عتبة بن ربيعة •
٣٩ ـ جارية بن عبد الله شجعي •
٤٠ ـ قباث بن أشيم •

أما القاضي فكان ابو الدرداء[2] ، وكان القاص أبو سفيان بن حرب ، يحمس الناس على الروم ، وكان على الطلائع : قباث بن أشيم ، وكان على الاقباض[3] عبد الله بن مسعود ، وكان القارىء « المقداد بن عمرو[4] » وكانت السنة التي سنها رسول الله ﷺ بعد بدر أن تقرأ سورة الجهاد عند لقاء العدو وهي سورة الانفال ، ولم يزل الناس بعد ذلك على ذلك • فلمَ اتقى النبي هذه السورة؟•

---

(١) حوشب بن طخمة ذو ظليم الحميري ، تابعي يماني ، ادرك النبي وآمن به ولم يره • وتقدم الحجاز أيام أبي بكر ، شهد اليرموك وكان اميرا على كردوس ، شهد صفين مع معاوية فقتل فيها • (الاعلام ج : ٢ ، ص : ٣٢٧)

(٢) وهو عويمر الخزرجي وضريحه في « باب صغير » وله مسجد في قلعة دمشق • « راجع كتاب الزيارات » للقاضي محمود العدوي في المكتبة الظاهرية بدمشق ، رقم (و ـ ٩٦٨٣) • وراجع الطبري ، ج : ٣ ، ص : ٣٩٧ •

(٣) الاقباض : جمع قبض ، وهو ما يجمع من الغنائم •

(٤) قال عمر بن الخطاب عن المقداد : انه مقام الف رجل •

سورة الأنفال
إنها
«سورة الجهاد»

★ انها الروح المناسبة للموقف المناسب •

اختار النبي ﷺ في بدر هذه السورة ، لانها تنطق بالروح المناسبة ، في المكان المناسب ، انها سورة الحرب والحماس والدار الآخرة ولقاء الله • ويمكن أن نستخلص منها المعاني التالية :

١ ـ تذكر هذه السورة المجاهدين بالايمان وبلقاء الله فترخص الارواح عند لقاء العدو : « **انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون** » (٢) •

٢ ـ تذكر بوعد الله لعباده المؤمنين ، فهم ليسوا وحدهم في المعركة، الله وملائكته معهم : « **اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين** » (٩) •

٣ ـ الاعتماد على الله لتحقيق النصر فيجب الرجوع اليه بعد تهيئة الاسباب وأخذ الاستعدادات التامة للقاء العدو، اذ في السورة نفسها « **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة••** » (٦٠) ، اما المعنى الاول فموضح في الآية : « **وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم** » •

٤ ــ الاقتناع بأن الله مضعف وموهن قلوب الكافرين، وبالمقابل مثبت ومقوٍ قلوب المؤمنين : « **إذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان** » (١٢) ٠

٥ ــ توضح السورة عقوبة الفرار من الزحف ، ليحذرها المؤمن، بل كي لا يفكر بها ، فمن وجد في جيش الايمان ، لا يفكر الا في النصر او في الشهادة ، اما الادبار فمنسوخ من معجم الاسلام : « **يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير** » ٠ (١٥ و ١٦) ٠

٦ أمل المؤمنين بالنصر الاكيد : « **ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم ، وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين** » (١٩) ٠

٧ ــ تذكير المؤمنين باكرام الله لرسوله ، عندما خرق العوائد لتخليصه من قريش عند الهجرة ، والله هو الله ، وما زال هو القادر على ان ينصركم على الرغم من كثرة الاعـداء ، وقلة عددكم : « **واذ يمكرُ بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين** » (٣٠) ٠

٨ ــ تذكير المؤمنين انهم لا يقاتلون الا لكي تكون كلمة الله هي العليا، ولنشر الاسلام اولا وآخرا : « **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير** » (٣٩) ٠

٩ ــ في السورة دعوة الى التكاتف والتعاون والمحبة والاتحاد

والصبر ولضمان النصر والفوز : « **واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين** » (٤٦) •

١٠ ــ الايمان والروح المعنوية الخاصة، التي يجب أن يكون عليهما المؤمنون، وعدم الاكتراث بالقلة والكثرة، عدم النظر الى قلة رجال الايمان وكثرة عدد الكافرين « **يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون** » (٦٥) • وتشير الى هذا المعنى أيضا الآيات ٤٣ ــ ٤٤ •

١١ ــ تنبه آيات السورة المؤمنين، الى خطر المنافقين للحذر منهم: « **اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم** » (٤٩) •

١٢ ــ تنص الآيات في السورة ، على احترام العهود والمواثيق التي يعقدها المؤمنون مع اعدائهم ، مع الجنوح الى السلم ، اذ ليست الغاية اراقة الدماء ، بل نشر الدعوة بأقل كمية دماء ممكنة ، حفاظا على ارواح الشعوب ، ولكي تبقى هذه الحروب انسانية محرّرة :

« **واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين** » (٥٨) •

« **وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم** » (٦١) •

١٣ ــ توضح السورة في آياتها كيفية توزيع الغنائم :

« واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ‥ » (٤١) ٠

١٤ ــ تذكر الآيات بأن الاعداء سيهزمون لفسقهم وذنوبهم كما هزم فرعون :**« كدأب آل فرعون والذين من قبلهم، كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين » (٥٤)٠**

١٥ ــ تذكر الآيات المجاهد بالثواب الكبير الذي ينتظره : **« والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم » (٧٤) ٠**

هذا جزء يسير مما تدل عليه السورة ، ففيها من المعاني ما لا يسمح مجال الكتاب لذكره ، اكتفيت بذكر ما سبق ــ ١٥ بندا ــ وهي كافية لتعطينا فكرة ، ولو بسيطة ، عن قيمة قراءة هذه السورة ، وعن سبب اختيار النبي ﷺ لها وعن سبب تسميتها ، وقد قرئت هذه السورة في اليرموك ، من قبل المقداد بن عمرو ، وما أدراك من «المقداد» ؟ انه بألف رجل في ايمانه وقوته ، فشعت هذه المعاني نورا في قلوب المجاهدين ، بعد ان هضمتها ارواحهم ، فترشحها في الاعضاء قوة وعزيمة ، انها : سورة الجهاد ٠٠٠ فصلى الله على من اختار تلاوتها وسنها لمثل هذه المواقف ٠



قبيل المعركة

انما تكثر الجنود بالنصر ..
وتقل بالخذلان ....

شهد اليرموك ألف من اصحاب رسول الله ﷺ فيهم نحـو مائة من أهل بدر ، وكان ابو سفيان يسير فيقف على الكراديس فيقول : « الله ... الله ... انكم ذادة العرب وأنصار الاسلام ، وانهم ذادة الروم وأنصار الشرك ! اللهم ان هذا يوم من أيامك ، اللهم انزل نصرك على عبادك » .

وبينما كان خالد يرتب الجند ويفتش بينهم قال له رجل : « ما اكثر الروم وأقل المسلمين ؟ » .

فقال خالد : **« بل ما أقل الروم واكثر المسلمين، انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال »** . ثم نطق بكلمات خـالدة خلود الزمن ، كلمات ما قالها انسان قبله وما قالها انسان بعده ، قالها وهو صادق فيها يقول ، ويعي مايتحدث ، انها عزيمة الصدق وصدق العزيمة ، انها قوة الايمان ، وايمان القوة . قالها خالد ويكفينا ان نقول : انه خالد ، قالها فندع للخيال فسحة ليفكر بهذه الشخصية التي عجزت النسـاء أن تلد مثلهـا ، ماذا قـال ؟ أقسم بالله وقال : **« والله لوددت أن الاشقر براء من توجيه ، وأنهم اضعفوا العدد »** .

هـــذه الكلمـات تعكس نفســية المؤمـن الــذي هذب نفسيته محمد بن عبد الله ﷺ النبي الامي الذي أدبه الله فأحسن تأديبه .

ماذا تعني هذه الكلمات ؟

الاشقر من الخيل : الخيل التي فيها حمرة صافية ، يحمر معها العرف والـذنب ، أما وجي الفرس وتوجى : أي أصيب بالوجا ، وهو أن يشتكي الفرس باطن حافره ، أي أن فرس خالد الاشقر مصاب في حافره وذلك عند مجيئه من العراق .

وهذه الكلمات تعني بوضوح بعداجراء معادلة بسيطة مايلي: جيش الروم ٢٤٠ الف ، فلو أضعفوا العدد لاصبحوا ٤٨٠ الف ، والاشقر سليم معـافى ، اذن في تربية هذه الامة أصبح خـالد لا يعادل ربع مليون من الروم ، لا بل فرسه « الاشقر » يعادل = ٢٤٠ الف رجل من الروم ، فاذا كان فرس خالد بهذه القيمة ، فما قيمة خالد ؟ هل نقول الملايين ؟!.. الله اكبر يا أمة الاسلام كيف نهضت ؟ كيف تقدمت ؟ كيف فتحت الدنيـا ..؟.. لا ، لا غرابة فشعب لو بقي على هذه الروح ، وهذه المعنويات ، وهذه الافكار ، لفتح الدنيا كلها ، بل لانطلق عبر الفضاء ، ولعله يرى في العوالم خلقا فيبلغهم دعوة محمد . ألا يحق لنا اذا سمعنا بخالد وأمثاله من ابطالنا ، أن نطأطىء رؤوسنا اجلالا ، وترف القلوب فرحا وتحنو الروح عشقا ومحبة ، لقـد ألهبت كلمـات خـالد حماس المجاهدين فتشوقوا الى الشهادة فانطلقوا بعد سماعهـا كالسهام الى صدور الاعداء .

بهذه الهمة ، وهذه الثقة ، أمر القائد العام الكراديس كلها أن تنشب القتال ، أمر القعقاع وعكرمة وكانا على جناحي القلب فأنشبا القتال ، تقدم القعقاع الذي رأينا بطولاته في القادسية ـ في الجزء الاول من هذه السلسلة ـ طربا يرتجز :

يا ليتني ألقاك في الطراد

قبل اعترام الجحفل الوراد

وأنت في حلبتك الوارد

وقال عكرمة :

قد علمت بهكنة[1] الجواري اني على مكرمة أحامي

نشب القتال والتحم الناس ، وتطارد الفرسان ، وبينما هم على ذلك اذ قدم البريد من المدينة المنورة ، فأخذته الخيول ، وسألوه الخبر ، فلم يخبرهم الا بخير ، واخبرهم عن امداد ، ولكن البريد جاء بوفاة أبي بكر رضي الله عنه ـ في يوم الاثنين ٢٢ جمادى الآخرة ١٣ هـ وتأمير أبي عبيدة ، فأبلغ الامر خالدا ، وأخبره بوفاة ابي بكر ، وأخبره بأن الجند لم تخبر بعد ، فقال لحامل البريد : « أحسنت فقف » وأخذ الكتاب وجعله في كنانته ـ حيث يضع شعرات مباركات من شعرات رسول الله يتبارك خالد بها قبل بداية كل حرب ـ وخاف إن هو أظهر ذلك أن ينتشر الأمر في الجند ، فوقف محمية بن زنيم مع خالد ، وهو

---

(١) والبهكنة : الجارية الخفيفة الروح الطيبة الرائحة المليحة الحلوة ، انه غزل عذري ، وفخر واعتزاز بالجهاد .

الذي جاء حاملا البريد ، وهكذا جاء عزل خالد وتأمير أبي عبيدة وبقي الامر سرا كي لا تضعف معنويات الجند ، وليتم خالد خطته التي رتبها ، وما هي الا ساعات يحقق الله فيها النصر فبعدها سيقاتل خالد جنديا كما قاتل قائدا مادام انه يقاتل لله وحده ، وفي سبيله .

خرج في هذه الاثناء من بين صفوف الروم « جرجة[1] » حتى كان بين الصفين ، ونادى : ليخرج الي خالد . فخرج اليه خالد دون تردد ، وأقام أبا عبيدة مكانه ، فوافقه بين الصفين ، حتى اختلفت اعناق دابتيهما ، وقد أمن أحدهما صاحبه .

فقال جرجة : « يا خالد اصدقني ولا تكذبني فان الحر لا يكذب ، ولا تخادعني فان الكريم لا يخادع المسترسل بالله ، هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه ، فلا تسله على قوم الا هزمتهم ؟ » .

خالد : « لا » .

جرجة : « فيم سميت سيف الله ؟ » .

خالد : « ان الله عز وجل بعث فينا نبيه ﷺ ، فدعانا فنفرنا عنه ونأينا عنه جميعا . ثم ان بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنا باعده وكذبه ، فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله ، ثم ان الله

(١) جرجة : بفتحات ، كذا ضبطه صاحب القاموس ، وقال : « اسم مقدم عسكر الروم يوم اليرموك » .

ومما يذكر انه كان يجيد اللغة العربية ، واسمه كاملا : جورج بن تيودور .

أخذ بقلوبنا ونواصينا ، فهدانا به ، فتابعناه ، فقال : أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين ! ودعا لي بالنصر ، فسميت سيف الله بذلك ، فأنا من أشد المسلمين على المشركين(١) .

جرجة : صدقتني ، ثم أعاد عليه جرجة : « ياخالد ، أخبرني الام تدعوني ؟ » .

خالد : الى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، والاقرار بما جاء به من عند الله » .

جرجة : « فمن لم يجبكم ؟ » .

خالد : « **فالجزية(٢)** ونمنعهم » .

جرجة : « فان لم يعطها ؟ » .

خالد : « نؤذنه بحرب ، ثم نقاتله » .

جرجة : « فما منزلة الذي يدخل فيكم ويجيبكم الى هذا الامر اليوم ؟ » .

خالد : « منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا ، شريفنا ووضيعنا ، وأولنا وآخرنا » .

جرجة : « هل لمن دخل فيكم اليوم ياخالد مثل مالكم من الاجر والذخر ؟ » .

---

(١) البداية والنهاية ، ج : ٧ ، ص : ١٣ .

(٢) كلمة « الجزية » تفسرها كلمة « نمنعهم » ، ان الجزية تدفع مقابل حماية المسلمين للذميين ، وان لم يحققوا الحماية فيرجعوا الجزية لاصحابها ، كما حدث مع ابي عبيدة واهل حمص . « سنفصل هذه الحادثة في الجزء الاخير من هذه السلسلة ان شاء الله » .

خـالد : « نعم ، وأفضل » .

جرجة : « وكيف يساويكم وقد سبقتموه ؟ » .

خـالد : « انا دخلنا في هذا الامر ، وبايعنا نبينا ﷺ وهو حي بين أظهرنا ، تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتب ، ويرينـا الآيات ـ المعجزات ـ وحق لمن رأى مثل ما رأينا ، وسمع ما سمعنا ، أن يسلم ويبايع ، وانكم انتم لم تروا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج ، فمن دخل في هذا الامر منكم بحقيقة ونية كان افضل منا » .

جرجة : « بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تألفني ! » .

خـالد : « بالله ، لقد صدقتك وما بي اليك ولا الى أحد منكم حاجة ، وان الله لولي ما سألت عنه » .

جرجة : « بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تألّفْني ! » . « علمني الاسلام » . فمال به خالد الى فسطاطه[1] ، فشن[2] عليه قربة من ماء ، ثم صلى ركعتين بعد ان علمه خالد الصلاة ، وحملت الروم مع انقلابه الى خالد ، وهم يرون أنها منه حملة ، فأزالوا المسلمين عن مواقفهم الا المحامية ، عليهم عكرمة والحارث بن هشام ، وركب خالد ومعه جرجة والروم خلال المسلمين ، فنادى الناس ، فثابوا ، وتراجعت الروم الى مواقفهم .

(١) الفسطاط : البيت من الشعر ، « بفتح الشين والعين » .
(٢) شن : شن عليهم الغارة ، اي فرقها عليهم من كل وجه ، والمراد هنا انه سكب عليه الماء من كل جهة على جسمه لكي يتطهر جرجة قبل صلاته .

ولا يحق لنا أن نصف المعركة في احتدامها ، ونخوض غمارها فكريا مع صحابة رسول الله قبل أن نلقي أضواء على بعض فقرات حوار خالد وجرجة ونستخلص منها أشياء وأشياء منها :

١ ــ **تواضع سيف الله خالد عندما قال :** فأنا من أشد المسلمين علي المشركين » ولم يقل « أنا أشد المسلمين على المشركين » فكلمة (من) جعلت الجملة تفهم جرجة أن في الجيش كثراً من أمثال خالد .

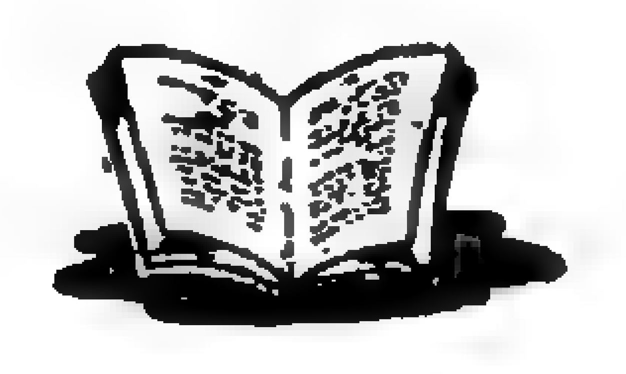
٢ ــ الحوار الذي دار ، **اسلوب جميل للدعوة الى الله ،** دعوة الى معروف بمعروف ، ببساطة ووضوح ، فلنمعن بكلمات خالد التالية : « الى شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ، والاقرار بما جاء به من عند الله » و « منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا ، شريفنا ووضيعنا ، وأولنا وآخرنا » وجوابه رضي الله عنه لجرجة عندما سأله عن أجره اذا دخل في الاسلام متأخرا الآن فقال له : مثل أجرنا و « أفضل » . ثم قال خالد : « فمن دخل في هذا الامر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا » . فكل هذه الكلمات توضح تواضع الداعي وترغيب المدعو الى الله والاسلام ، واشعاره حقا ان الاسلام لمن صدق لا لمن سبق ، فان آمن الآن فله ما لنا وعليه ما علينا وثوابه وذخره كثوابنا وذخرنا . **فهذا هو أسلوب الدعوة الناجح ... ترغيب ووضوح ولين ومعروف وبساطة ...**

٣ ــ توضح الفقرات **احترام خالد التام لرسول الله** وان ايمانه

بعد غزوة الاحزاب « أو الخندق » كان عن ايمان برسول الله واقتناعه أنه الرسول الصدوق المصدق وهذه هي الادلة : « يرينا الآيات وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا ، أن يسلم ويبايع » ، « ان الله أخذ بقلوبنا ونواصينا ، فهدانا به ، فتابعناه » •

ـ يدل الحوار على شيء غفل او تغافل عنه كثيرون ، ألا وهو: **لو ترك الملوك الدعوة الاسلامية وخلوا بينها وبين شعوبهم ، لجرت مثل هذه المناقشات ، فترى الشعوب بساطة ووضوح العقيدة الجديدة ، ومساواتها بين أميرها ووضيعها ومساواة حامل الدين الذي أسلم قبل سنوات وبين من سيسلم حديثا ، كلهم أخوة وحقهم واحد ، وثوابهم واحد ••• ولدخلت في دين الله هذه الشعوب ، وتحررت من انصاف الآلهة ، وسيطرتهم دون قتال ،** فالقتال ليس غاية في ذاته ، بل هو وسيلة لا غاية ، الشعوب ليست هي التي يحاربها جيش الفتح ، بل السلطة المسيطرة الظالمة • والهدف الاول والاخير ايصال العقيدة الى الشعوب لترى عدالتها ومساواتها ووضوحها وحب النفس لها واقتناع العقل بها وأنى للذوق السليم اذا لعق عسلا ألا يتعلق به ؟ ولو قيل له سابقا انه مُرٌّ علقم ؟•

•• « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » رحمة للعالم أجمع  •



بطولات أثناء المعركة

● كم منادٍ صاح يقول : « من يبايع على الموت ؟ » فيسمعها المجاهدون أثناء اشتداد القتال ، فيجيب الكثيرون : نحن نبايع، فتتقدم كتائبهم ـ كتائب الفدائيين ـ فتحقق البطولات والمعجزات .

نظر المسلمون الى رايات الروم تقترب منهم وتدنو ، فقال ابو عبيدة ـ أمين هذه الامة ـ لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، ثم قال : أين أبو سليمان خالد بن الوليد ، فأجابه خالد بالتلبية ، فقال أبو عبيدة : أنت لها يا أبا سليمان فابرز في أبطال المسلمين وصد عن الحريم ، وخذ صفوة الرجال واستعد للحرب بآلاتها ، فقال : حبا وكرامة ونادى خالد : أين الزبير بن العوام[1] ؟ أين عبد الرحمن بن أبي بكر ؟ أين الفضل بن العباس ؟ أين يزيد بن أبي سفيان ؟ أين ميسرة بن مسروق العبسي ؟ أين مسرة بن قيس بن عبد الله الجهني ؟ أين صخر بن حرب الاموي ؟ أين عمارة الدوسي ؟ أين عبد الله بن سلام ؟ أين غانم الغنوي ؟ أين المقداد بن الاسود ؟ أين أبو ذر الغفاري[2] ؟ أين عمرو بن

---

(١) أهم تراجم هؤلاء الرجال الاعلام في خاتمة هذا الكتاب .

(٢) أبو ذر : جندب بن جنادة من بني غفار ، صحابي من كبارهم ، قديم الاسلام، كان كريما لا يخزن المال ، روى له البخاري ومسلم ٢٨١ حديثا ، توفي سنة ٣٢ هـ في الربذة من قرى المدينة .

معد يكرب الزبيدي ؟ أين عمار بن ياسر العبسي ؟ أين ضرار بن الازور ؟ أين عامر بن الطفيل ؟ أين أبان بن عثمان بن عفان ؟... وجعل خالد يدعوهم رجلا بعد رجل من أصحاب رسول الله ﷺ وهؤلاء كل واحد منهم يلقى فئة كثيرة ، فكيف اذا اجتمعوا ؟

جمعهم خالد ليضربوا عدوهم «الضربة القاضية» وهذا سيكون، وأثناء انتقاء خالد لهؤلاء ، سار أبو عبيدة في الجيش فأخرج النساء الى تل قريب وأمرهن بأن يأخذن بأيديهن أعمدة الخيام والحجارة وان يحرضن المؤمنين على القتال ، « فان كان الامر للمسلمين فكن على ما انتن عليه ، وان رأيتن أحدا منهزما فاضربن وجهه بأعمدتكن، واحصبنه بحجارتكن ، وارفعن اليه اولادكن وقلن له : قاتل عن دينك وأهلك وولدك ، فقالت النساء : أيها الامير ابشر بما يسرك، ثم رجع الى الجند وقال محمسا : « **ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والزموا الصبر فان الصبر منجاة من الكرب ومرضاة للرب ومقمعة للعدو فلا تزايلوا صفوفكم ولا تنقضوا نيتكم ولا تخطو خطوة الا وانتم تذكرون الله** »(١) .

ثم طاف معاذ بن جبل في الناس محرضا يقول : « يا أهل الدين ويا أنصار الهدى والحق ، اعلموا رحمكم الله تعالى ان رحمة الله لا تنال الا بالعمل والنية ، ولا تدرك بالمعصية والتمني بغير عمل مرضٍ ، ولا تدخلوا الجنة الا بالاعمال الصالحة مع رحمة

---

(١) تنفيذا لامر الله عز وجل في الآية الكريمة : « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » . (٨/٤٥) . راجع البداية والنهاية ، ج : ٧ ، ص : ٩ .

لله ، ولا يؤتى الرحمة والمغفرة الواسعة الا الصابرون والصادقون، ألم تسمعوا قوله جل من قائل : « **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الـذي ارتضى لهم وليبدلنهم مـن بعد خوفهم أمنا ..** » ٢٤/٥٥ . فاستحيوا من الله أن يراكم في فرار مـن عدوكم وانتم في قبضته ليس لكم ملجأ من دونه . كذلك خرج أبو سفيان وسهيل بن عمرو وحمسوا الناس بمثل هذه الكلمات .

بطولة غـُــلام

قال ورقة بن مهلهل التنوخي ، وكان صاحب راية أبي عبيدة في اليرموك : كان من أوائل من افتتحوا الحرب غلام من الازد حدثا كيسا قال لابي عبيدة : « أيها الامير اني أردت أن أشفي قلبي وأجاهد عدوي وعدو الاسلام ، وابذل نفسي في سبيل الله تعالى لعلي أرزق الشهادة ، فهل تأذن لي في ذلك وان كان لك حاجة الى رســول الله ﷺ فأخبرني بهـا » فبكى أبو عبيـدة وقال : « **اقرىء رسول الله ﷺ مني السلام واخبره أنا وجدنا ما وعـدنا ربنا حقا** » . ثم اندفع الغلام ؟ هل لك أن تتصور قوة اندفاع هذا الغلام الازدي الى الجهاد ؟ وهل لك أن تتصور أمة هكذا أبناؤها ، هل تغلب ؟؟! ...

خرج ــ لهذا الغلام المتقدم بين الصفين ــ ، علج من الروم، جــاء اليه على فرس أشهب ، فلما رآه الغلام قصــد نحوه وهو يقول :

لا بد من طعن وضرب صائب
بكل لدن[1] وحسـام قاضب
عسى أن أفـوز بالمـواهب
في جنة الفردوس والمـراتب

فحمل كل منهما على صاحبه ، وابتدأ الغلام الازدي الرومي بطعنة فجندله صريعا واخذ جواده وعدته وسلم ذلك لرجل من قومه ، وعاد الى المبارزة فخرج اليه آخر فقتله وثالث ورابع فقتلهم ، فخرج اليه خامس فقتل الغلام الازدي فغضبت الازد ودنت من صفوف المشركين يشدهم الحماس بعد بطولات غلامهم . هنيئا له الشهادة فقد لقي من أحب وأراد ، لقي رسول الله ، ولا ندري كم كان من هذه البطولات لغلمان هذه الامة قد سطرها أطفالها ولكن التاريخ ظلمهم ولم تكتب بطولاتهم ، وعلى مثل هذا يربى النشء والا فلا ...

شبل آخر

خرج بين الصفين علج من الروم وعليه درع سابغ فسأل القتال ، فخرج اليه غلام ، فقتل الغلام على يد العلج ، ثم رأى معاذ بن جبل فأعجبه منظره فطلبه للنزال ، فقال أبو عبيدة : يا معاذ سألتك بحق رسول الله ﷺ الا ماثبت مكانك ولزمت رايتك ، فلزومك الراية أحب الي من برازك الى هذا العلج ، فوقف معاذ بالراية ونادى :

(١) لدن ، « بفتح اللام وتسكين الدال » وهي صفة للرمح اللين ، الذي لا يكسر اثناء الطعان .

« يا معشر المسلمين من أراد فرسا يقاتل عليه في سبيل الله فهـذا فرسي وسلاحي» فجاء ولده عبد الرحمن فقال : « أنا يا أبت » وكان غلاما لم يحتلم ، فلبس السـلاح وركب الجـواد ، وقال : « يا أبت أنا خارج الى هذا العلج ، فان صبرت فالمنة لله علي ، وان قتلت فالسلام عليك ، يا أبت ، ان كان لك الى رسول الله حاجة فأوصني بها » ، قال الاب لابنه الزاحف الى الموت : « يا بني أقرئه مني السلام ، وقل جزاك الله عن أمتك خيرا » ثم قال : « يا بني اخرج وفقك الله لما يحب ويرضى »، فخرج عبد الرحمن بن معاذ بن جبل الى العلج كأنه شعلة نار ، وحمل على العلج وضربه بالسيف، فمال عنه العلج ومال الى عبد الرحمن وضربه على رأسه فقطـع العمامة وشجه شجة عميقة أسالت دمه ، فلما رأى العلج دم عبد الرحمن ظن انه قتله فتأخر الى ورائه لينظر كيف يسقط عـن جواده ، فلما نظر عبد الرحمن الى العلج وقد تأخر عنه انثنى راجعا الى المسلمين فقال له والده معاذ : « ما بك يابني ؟ » قال : « قتلني العلج » قال معاذ : « ما الذي تريد من الدنيا يا بني !؟ » فشد عبد الرحمن جرحه ورجع لكنه استشهد قبل قتل العلج ، فقال ابو عبيدة : « فمن له منكم ؟ » فخرج اليه عامر بن الطفيل الدوسي وكان من اصحاب الرايات وممن قاتل يوم اليمامة قتالا شديدا رائعا ، خرج عامر الى العلج : وما هي الا لحظات حتى ضرب العلج بسيفه على هامته حتى وصل السيف الى امعائه ، فتنكس العلج صريعا .

خرج لعامر بن الطفيل بعد ان قتل العلج جبلة بن الايهم

قائلا : أنا من غسان وأنا سيدها ، أنا جبلة بن الايهم الغساني ، قتلت العلج وهو نظير « ماهان وجرجير » في الشجاعة فعلمت انك كفؤ ، فخرجت اليك لاقتلك ، واحظى عند هرقل وماهان بقتلك ، - يريد رضاء اسياده - فقال عامر : ان قولك انك ستحظى بقتلي عند مخلوق مثلك ، فاني أريد أن احظى بجهادي عند رب العالمين بقتلك[1] وحمل عامر على جبلة بن الايهم والتقيا بضربتين ، فخرجت ضربة عامر بن الطفيل غير ممكنة ، وخرجت ضربة جبلة ممكنة ، فقطعت من قرنه الى كتفه فسقط عامر قتيلا ، فوقف جبلة معجبا بنفسه وبما صنع ، وطلب المبارزة ثانية ...

شبل ثالث

طلب جبلة المبارزة ثانية ، فخرج اليه « جندب بن عامر ابن الطفيل » ، وكانت معه راية أبيه فاقبل الى ابي عبيدة وقال : « ايها الامير » ، ان أبي قد قتل ، وأريد أن آخذ بثأره أو اقتل ، فادفع رايتك لمن شئت ، وخرج الغلام وهو يقول :

سأبذل مهجتي أبدا لاني ... أريد العفو من رب كريم
واضرب في العدا جهدي بسيفي ... واقتل كل جبار لئيم
فان الخلد في الجنات حق ... تباح لكل مقدام سليم

---

(١) هذا هو الفرق بين الكافر والمؤمن ، الكافر يريد ارضاء اسياده الرومان الذين هو عبد لهم ، والمؤمن لا يريد الا رضاء لله عز وجل ، وشتان بين الاثنين ، الذل للانسان ذل ، والذل لله رفعة وقوة ...

ودنا من جبلة وقال له : « اثبت يا قاتل أبي » ، فقال جبلة : « ومن أنت من المقتول ؟ » • قال : ولده ، قال جبلة : « وما الذي حملكم على قتل نفوسكم ، وقتل النفوس محرم ؟ » قال جندب : « ان قتل النفس في سبيل الله محمود عند الله ، وننال به الدرجة العالية » ، قال جبلة : « إني لا أريـد قتلك » فقال جنـدب : « وكيف ارجع وأنا المفجوع بأبي ؟! • • والله لا رجعت الا أن آخذ بثأر أبي أو الحق به » • ثم حمل على جبلة وجعلا يقتتلان وقـد شخصت نحوهما الابصار ، نظر جبلة الى الغلام وما أبدى مـن شجاعة فعلم انه شديد البأس ، صعب المراس ، فأخذ منه حذره ، وغسان ترمق صاحبها فرأت الغلام وقد ظهر على صاحبهم وقارنه في الحرب ، فصاح بعضهم على بعض وقالوا : ان هذا الغـلام الذي برز الى سيدكم غلام نجيب ، وان تركتموه ظهر عليـه ، فانجدوه ولا تدعوه ، فتأهبت غسان للحملة لينقذوه ، ونظـر المسلمون الى جندب وما ظهر منه ومن شجاعته وشدته ففرحوا بذلك ونظر الامير ابو عبيـدة الى ذلك وما فعل فبكى وقال : « اللهم تقبل له فعله » ، قال جابر بن عبد الله : « شهدت اليرموك فما رأيت غلاما كان أنجب من جندب بن عامر بن الطفيل حين قاتله جبلة » ، وكانت النتيجة أن ضرب جندب جبلة ضربة أوهنه بها،فكر جبلة على جندب فقتله • فصاحت قبيلة جندب واسمها « دوس » : الجنة الجنة ، فحملت وحملت معها الازد فسـطروا بطولات ما بعدها بطولات •

نشب القتال بجد ، وفي جميع الجوانب ، وسيطرت روح

الصديق في سماء المعركة تلوح برايات النصر والفـوز المبين ، واستجابت لها جنبات الوادي تردد في الفضـاء المزدحم هتافات المسلمين وخطب وتحميس القواد • دقت ساعة الخطر ، واقبل الاعداء بقضهم وقضيضهم وخيلائهم وفخرهم ، تحاد الله وتهزأ من انصاره ، وخاف صحابة رسول الله على سلامة الجيش أمـام سيل العذو الجارف ، فأسرع بعضهم الى الزبير بن العوام فيمقدمة الفرسان فقالوا : ألا تشد فنشد معك ؟ ، واستجاب الزبير لنداء العزة ، فوثب ووثب من حوله على الروم ، فأزاحوهم عن الوادي وأرغموهم على تسلق الجبال وسلوك سبلها بحثا عن النجاة ولا نجاة ••• وقال المسلمون لله در الزبير بن العوام وهاشم بن المر ، فقد أرجعوا الروم بعد زحفهم •

وممن أظهر شجاعة لا نظير لها في اليرموك «**ضرار بن الازور**» الذي قتل أميرا روميا اسمه « مريوس » ويلقب (بملك اللأن) ، فخرج فارس رومي يطلب المبارزة فخرج اليه الزبير فقتله وخرج اليه ثان وثالث فقتلهم ، فقال خالد بن الوليد لابي عبيدة : ان الزبير قد تجرد للروم وبذل نفسه لله ولرسوله وأخاف عليه مـن التعب ، فصاح عليه أبو عبيدة وأقسم عليه فرجع الزبير ، وفي هذا اليوم كثرت الجراح من كثرة السهام ، وأعوّر مـن المسلمين سبعمائة عين ، فسمي ذلك اليوم «**يوم التعوير**» وكان ممن أصيب بعينه : المغيرة بن شعبة ، وسعيد بن زيـد بن عمرو التميمي ، وأبو سفيان صخر بن حرب ••• وكان ابو عبيدة يمشي في الناس هو وخالد بن الوليد يتفقدان الجرحى ويقولان : أيها الناس ان عدوكم يألم كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون •

أبو عبيدة حارس ليلي

جاء مساء اليوم الاول من القتال ، ولم يقل أبو عبيدة لاحد من المسلمين من يكون الليلة حرس المسلمين لما عندهم من التعب، بل انه قد تولى الحرس بنفسه ومعه جماعة صغيرة من المسلمين ، فبينما هو يدور اذ رأى فارسين قد لقياه وهما يدوران بدورانه ، **فكلما قال لا اله الا الله ، قالا : محمد رسول الله ، فقرب ابوعبيدة** منهما فاذا هما الزبير بن العوام وزوجته اسماء بنت ابي بكر الصديق ، فسلم عليهما وقال : يا ابن عمة رسول الله ﷺ ما الذي أخرجكما ؟ قال الزبير : نحرس المسلمين ، وذلك أن اسماء قالت : ان المسلمين مشتغلون بأنفسهم في هذه الليلة عن الحرس بما لحقهم من التعب في الجهاد طوال يومهم فهل لك أن تساعدني على حرس المسلمين فأجبتها الى ذلك ، فشكرهما أبو عبيدة وعزم عليهما أن يرجعا ، فلم يرجعا ولم يزالا حتى طلع الصباح •

هذان الزوجان « الزبير واسماء » كان معهما ابنهما الغلام الصغير عبد الله ، وعمره يومها اثنتا عشرة سنة فقط ، فأرى هذا الغلام أرض الميدان معجزة الايمان في قلب ابن الزبير ، لقد ابى الغلام وقد واتته الفرصة الثمينة الا المشاركة في الجهاد ، فركب فرسه مع أبيه في اليرموك ، وتقدم الى الصف الاول وفي اليوم الاول من المعركة ، ليغرق جواده في بحر القتال الى ذقنه ، وأخذ هذا الشبل الصغير ينافس أباه « الاسد الهصور » في ضرب رقاب اعداء الله وتشتيت أكداس العدو المكتظة في ساحة

المعركة ... حتى خرجا مـن الناحية الاخرى مـن كتلة الروم المتراصة ، ومن ثم ، عادا من نفس الطريق وبنفس الاسلوب المعجز في تاريخ الحروب ...!!

لقد كان هذا الشبل مع ابيـه بمثابة جيش خطير ، أذهل الاعداء وفت عضدهم ، وايقنوا ان العاقبة وخيمة وخلد تاريخ الشعوب صورة بطولة خارقة لعبد الله بين الزبير في ميدان الحرب ، وهو لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره الا قليلا .

النساء في اليرموك

اخذنا فكرة لا بأس بها عن بطولات الاطفال والغلمان في اليرموك ، ولكن مادور المرأة المسلمة في هذه المعركة ؟ لقد شاركت بها حقا ، دخلت المعركة بطهرها وعفافها واخلاقها الفاضلة جنبا الى جنب مع الجندي المسلم في طهره وعفافه وخلقه الفاضل . أجـل لقد دخلت المرأة المسلمة المعركة ولكن في جو ملائكي طاهر . وصور كفـاح المـرأة العربيـة في اليرموك كثيرة حتى قـال « عبد الله بن قرط » ساعدتنا النساء اللاتي شهدن مع رسول الله ﷺ المشاهد يداوين الجرحى ويسقين الماء ويبرزن الى القتـال ، ولم أر من نساء قريش اللائي قاتلن بين يدي رسول الله ﷺ ، ولا في « اليمامة » مع خالد مثل ما قاتلت نساء قريش يوم اليرموك حين دهمهن القتال وخالط الروم المسلمين فضربن بالسيوف ضربا وجيعا » .

ومن النساء اللواتي قاتلن في اليرموك[1]: **خولة بنت الازور ، وأم حكيم بنت الحرث ، وسلمى بنت لؤي . وأسماء بنت ابي بكر** التي قاتلت الى جانب زوجها فقرنت عنانها بعنان زوجها الزبير ابن العوام .

ومما حدث في اليرموك : أن حملت خولة بنت الازور على علج رومي كان قد حمل على النساء ، فاستقبلته خولة بالسيف ، فضربها العلج بسيفه على رأسها فأسال دمها وسقطت على الارض، فصاحت عفيرة بنت عفان حين نظرتها صريعة ونادت : فجع والله ضرار في اخته ، فأخذت رأسها على ركبتها والدم قد صبغ شعرها وقالت لها : كيف تجدك يا ابنة الازور ؟ فقالت خولة : أنا بخير ان شاء الله تعالى ، ولكني هالكة لا محالة ، فهل لك علم بأخي ضرار ؟ فقالت عفيرة : يا ابنة الازور ما رأيته ، فقالت خولة : اللهم اجعلني فداء لاخي ولا تفجع به الاسلام ، قالت عفيرة : فجهدت ان تقوم معي ، فلم تقم فحملناها الى أن أتينا بها موضعها فلما كان الليل رأيتها وهي تدور تسقي الرجال وكأن ليس بها ألم قط ، ونظر اليها اخوها والضربة في رأسها فقال لها : ما بك ؟ فقالت : ضربني علج قتلته عفيرة .

وكانت خولة تنشد مع هند بنت عتبة زوجة ابي سفيان والمزاهر معهن ومع النساء جميعا أبياتا هي :

يا هاربا عن نسوة ثقات   لها جمال ولها ثبات
تسلموهن الى الهنات   تملك نواصينا مع البنات

---

(١) راجع ترجمة بعض النساء اللواتي اشتركن في اليرموك في نهاية الكتاب .

أعلاج سوء فسق عتـاة ينلن منا أعظم الشتات

قالت سعيدة بنت عاصم الخولاني كنت في جملة نساء يومئذ على التل فانكشفت ميمنة المسلمين فصاحت بنا « عفيرة بنت عفان » وكانت من المترجلات الباذلات ونادت : « يا نساء العرب دونكن والرجال ، واحملن اولادكن على أيديكن واستقبلنهم بالتحريض » ، فاقبلت النسوة يرجمن وجوه الخيل بالحجارة ، وجعلت ابنة العاص بن منبه تنادي : « قبح الله وجه رجل يفر عن حليلته » ، وجعل النساء يقلن لازواجهن : لستم لنا ببعولة ان لم تمنعوا عنا هؤلاء الاعلاج . قال عباس بن سهل الساعدي : « كانت خولة بنت الازور ، وكعوب بنت مالك بن العاص ، وسلمى بنت هاشم ، ونعم بنت فياض ، وهند بنت عتبة ، ولبنى بنت جرير الحميرية » متحزمات وهن امام النساء ، يرددن الخيل ، ويحرضن على القتال ، فرجع المجاهدون رجعة عظيمة ، وخرجت هند بنت عتبة وبيدها مزهر ومن خلفها نساء من المهاجرين وهي تقول الشعر الذي قالته يوم أحد :

نحـن بنـات طـارق نمشي على النمـارق
مشي القطـا المـوافق قيـدي مـع المـرافق
ومـن أبى نفـارق ان تغلبـوا نمـالق
أو تـدبروا نفـارق فـراق غـير واثق
هل مـن كريم عاشق يحمي عن العـواتق .

ثم صاحت هند : الى أين تفرون من الله ومن جنته وهو مطلع عليكم ؟ ونظرت الى زوجها أبو سفيان فضربت وجه حصانه بعمود

كان بيدها ، وقالت له : الى أين يا ابن صخر ! ارجع الى القتال وابذل مهجتك حتى تمحص ماسلف من تحريضك على رسول الله ﷺ قال الزبير بن العوام : فلما سمعت كلام هند لابي سفيان ذكرت يوم أحد ونحن بين يدي رسول الله ﷺ ، ثم قال : فعطف ابو سفيان عندما سمع كلام هند وعطف المسلمون معه ، ونظرت الى النساء وقد حملن معهم ، وقد رأيتهن يسابقن الرجال ، وبأيديهن العمد بين أرجل الخيل ، ولقد رأيت منهن امرأة وقد أقبلت على علج عظيم وهو على فرسه فتعلقت به ومازلت به حتى نكسته عن جواده وقتلته وهي تقول : « هذا بيان ، نصر الله المسلمين » ولما رأى خالد رضي الله عنه تراجع الميمنة ، دعمها بنفسه وبستة آلاف ، فكبر وكبروا ونكل بالروم نكالة عظيمة وردهم الى بعد مواقعهم .

ساعات فاصلة

«من يبايع على الموت»

تضعضع الروم وسارع خالد « بالقلب » حتى كان بين خيلهم ورجلهم وكان مقاتل الروم لا يدري ما العمل فمكان قتاله واسع المطرد ، ضيق المهرب ، فكلما وجدت خيلهم مذهبا ذهبت وتركت راجلتهم في أماكنهم ، وخرجت الخيل تشتد بالروم في الصحراء ، فلما رأى المسلمون خيل الروم توجهت للهرب أفرجوا لهم ، ولم يحرجوها ، فذهبت متفرقة في البلاد ، وأقبل خالد والمسلمون على الرَّجْل ، ففضوهم وتراجعوا الى خنادقهم ، فاقتحم المسلمون

عليهم خندقهم ، فصاروا يهربون الى « الواقوصة » ولكن المقرّنين بالسلاسل هووا في الخنادق والوادي ، ومن صبر منهم « من المقترنين » للقتال هوى بـه من خاف وهرب ، أو قتل فسقط ارضا ، فكان يهوي الواحد بالعشرة ، لانهم لا يطيقونه ، وكلما هوى اثنان كانت البقية اضعف ، فتهافت في « الواقوصة » ثمانون الف مقترن وذلك في بضع ساعات من النهار .

جمع « الفيقار » أشراف الروم ، ثم جلسوا وقالوا : لا نحب أن نرى يوم السوء ، اذا لم نستطع ان نرى يوم السرور ، واذا لم نستطع أن نمنع النصرانية ، فلفّوا رؤوسهم كي لا يروا شيئا ، وقتلوا وهم في هذه الحالة .

وفي اليوم الثاني : وقف عكرمة بن ابي جهل يومئذ وقال : « قاتلت رسول الله ﷺ في كل موطن ، وأفر منكم اليوم ؟ » ثم نادى : **من يبايع على الموت ؟ فبايع الحارث بن هشام** وضرار بن الأزور واربعمائة من وجوه وفرسان المسلمين ، فقاتلوا في مقدمة فسطاط خالد حتى أصيبوا جميعا بجراحات ، وقتلوا الا من برأ من جراحه ومنهم ضرار بن الازور ، وأتى خالد بعدما أصبحوا بعكرمة جريحا فوضع رأسه على فخذه ، وبعمرو بن عكرمة (الاب وابنه ، رضي الله عن الاب ورضي عن الابن) فوضع رأسه على ساقه ، وجعل يمسح عن وجهيهما ، ويقطر في حلقيهما الماء .

ومن شهد هذا اليوم المشهود : الاشتر، الذي شهد اليرموك

ولم يشهد القادسية . خرج رجل « في هذا اليوم الثاني » من الروم فقال : من يبارز ؟ فخرج اليه الاشتر ، فاختلفا ضربتين ، فقال « للرومي : خذها وانا الغلام « النخعي »[1] ، فقال الرومي : أكثر الله في قومي مثلك ! أما والله لو أنك من قومي لآزرت الروم ، فأما الآن فلا أعينهم ، وهرب من البراز .

دامت المعركة الحاسمة يوما وبضع اليوم وكان الهجوم الاخير هجوما يمكن وصفه ان جميع المسلمين هجموا هجوم رجل واحد ، فارتد فيلق الروم فأصدر خالد أمره **بالهجوم العام** ، واشتد المسلمون ، واندفع سيف الله على رأسهم يهوي بسيفه ويخطف الارواح حتى شاركت النساء المسلمات الرجال في هذا الهجوم الاخير وكان من أكثرهن حماسة « جويرية بنت الحارث ابنة هند بنت عتبة » وكانت المصيبة الكبرى التي أصابت الروم هروب فرسانهم وبقاء الرجالة يتلقون الضربة . اقتحم خالد وجيشه خندق الروم وتساقطوا في الواقوصة يهوون ، وكان فيمن هوى فمات أخو هرقل « تذارق » .

انتهت المعركة باستشهاد ثلاثة آلاف من المسلمين منهم : عكرمة وابنه عمرو وسلمة بن هشام وعمرو بن سعيد ، وأبان بن سعيد وأثبت[2] خالد بن سعيد فلا يدري أين مات بعد ، وجندب بن عمرو الدوسي ، والطفيل بن عمرو ، وطليب بن عمير بن

---

(١) ورد في الطبري ان الاشتر قال : خذها وانا الغلام الايادي ، والمعروف ان الاشتر « نخعي » ومن مذحج .

(٢) أثبتت : أي جرح جرحا عميقا .

وهب ، وهبار بن سفيان ، وهشام بن العاص أخو عمرو •

وقتل من الروم (١٢٠) ألفا أكثرهم سقطوا هـاوين في الواقوصة ، فكانت السلاسل وتقييدهم عشرة عشرة وبالا عليهم فما هوى واحد أو اثنان منهم في الوادي الا هووا معه ، وان لم يصابوا فقد كانوا يموتون لعمق الوادي وسقوط آخرين فوقهم •

سمع هرقل بخبر المعركة ونتائجها فارتحل من حمص مودعا سورية وداعه الاخير ، وقال : **« سلام عليك يا سورية ، سـلاما لا لقاء بعده »** لقد عرف أن هذا الشعب الذي خرج من جزيرته مؤمنا موحدا لا قبل له به فانسحب بسلام •

تابع المسلمون تطهير الاردن وجنوب سورية من الروم ثم لاحقوهم حتى دمشق ووصف القعقاع بن عمرو انتصار المسلمين في اليرموك فقال[1] :

ألم ترنا على اليرموك فزنا ... كمـا فزنا بأيام العـراق
فتحنا قبلها بصرى وكانت ... محرمة الخباب لدى التلاقي
قتلنا الروم حتى ماتساوى ... على اليرموك مفروق الوراق
فضضنا جمعهم لما استحالوا ... على الواقوصة البتر الرقاق
غداة تهافتوا فيها فصاروا ... الى أمر تعضـل بالذواق



(١) الابيات في كتب التاريخ ، راجع مثلا البداية والنهاية ، ج : ٧ ، ص:١٥•

عزل خالد

قال عمر : « يا خالد ، والله انك عليّ لكريم ، وانك اليّ لحبيب » ..

قال خالد : « سمعاً وطاعة لامير المؤمنين، والله لو ولى عليّ الفاروق امرأة لسمعت واطعت » ..

... بهذه الروح ... وهذه المحبة، يجب ان نفهم مسالة « عمر وخالد » رضي الله عنهما .

لما وصل الى اليرموك حمية بن زنيم ومعه شداد بن اوس في صحبته ، قابل خالدا ، وأسر اليه ان أبا بكر قد لحق بالرفيق الاعلى ، وسلم اليه كتاب عزله من الخليفة الجديد عمر رضي الله عنه . احتفظ خالد بالكتاب خوفا من أن ينتشر ما فيه بين الجند فيضعف من عزيمتهم على القتال .

كان الكتاب يحمل نبأ وفاة الصديق ونبأ خلافة عمر ، ويحمل أمراً بعزل خالد وتأمير أبي عبيدة . وبعد انتهاء المعركة ، واتمام النصر ، أعلن خالد مضمون الكتاب ، واعتزل الامارة ، وولاها مكانه أبا عبيدة ، تقدم خالد الى أبي عبيدة وطأطأ رأسه احتراما واجلالا له ولامر عمر ، واحتراما للقائد العام الجديد لجيوش الاسلام قائلا : « مرني يا أميري فأنت القائد العام » وقال لحامل البريد الذي جاءه بأمر عزله : « بلغ أمير المؤمنين ان من حقه ان يعزلني عن القيادة ، ولكنه لا يملك ان يجردني من سيفي ، فسأظل

حاملا هذا السيف في خدمة ربي » • وأصبح خالد جنديا في الجيش تحت امرة أبي عبيدة[1] •

قيل في سبب الخلاف بين عمر وخالد ، كلام كثير ، منه :

١ ـ تصارعا وهما طفلان ، فغلب خالد عمر ، فصارت **الفرصة مناسبة لعمر كي ينتقم من خالد** ، حان الوقت للثأر لنفسه • وهذا مرفوض عقلا لان المؤمن المسلم بعد تركه الكفر والجاهلية ودخوله في حديقة الاسلام ، يلقى قاتل اخيه أو أبيه أو ابنه ، فلا يثأر ، بعد أن آخى الاسلام بينهما « والاسلام يجُبّ ما قبله » ، فبعد الأسلام تموت حتما مثل هذه المشاعر اللهم ان وجدت !•• فهذا السبب مرفوض عقلا •••

يقول الشاعر :

من وحد العرب حتى صار واترهم
اذا رأى ولد الموتور آخاه ؟
هي الحنيفة عين الله تكلؤها
فكلما حاولوا تشويهها شاهوا

فتحقيق معنى البيت الاول ، أولى الناس بتحقيقه عمر حيث ان ايمانه ويقينه بالله أقوى واعنف من أن يحمل حقدا في قلبه بعد اسلامه على بشر ، فكيف يحمل على سيف الله ؟•

---

(١) راجع البداية والنهاية ، جـ : ٧ ، ص : ٢١ • والكامل في التاريخ جـ : ٢ ، ص : ٢٠٣ •

٢ ـ وقيل ان سبب عزل خالد ، انتصاره في « أحد » لصالح قريش ، فلولا التفاف خالد وتطويق الرماة ثم قتلهم ، لما انتصرت قريش في أحد ، فقيل : **لم ينس عمر لخالد موقفه هذا يوم أحد ،** وهذا مرفوض أيضا لنفس اسباب رفض الرأي الاول •

٣ ـ لما قتل « مالك بن نويرة » تزوج خالد زوجته ، فغضب عمر وكلم الصدّيق بالامر ، فعنف الصدّيق خالدا ، كيف يتزوج من امرأة رجل لم يجف دمه بعد ، فعمر يرى ان خالدا قد تزوج امرأة قبل قضاء عدتها فلا يصح هذا الامر ويجب معاقبة خالد على هذه الفعلة •

وهذه رواية من خيال المؤرخين ، فخالد لا يمكن أن يتزوج امرأة لم تنقض عدتها ، لأنه ومن حوله من الصحابة ، من أعلم الناس بشرع الله فلا يتعداه •

٤ ـ لما أمر الصديق خالدا أن يسير الى الشام من العراق ، حسده عمر على ان يكون فتح العراق على يده ، فظن خالد أن عمر لا يرضى له ان تصير شهرته بين الخافقين •

٥ ـ تصرف خالد ببيت المال أيام الصديق ، فكان أبو بكر يغفر له ذلك ولا يحاسبه • ومما قاله عمر لابي بكر : **اكتب الى خالد الا يعطي شيئا الا بأمرك •**

٦ ـ افتتن الناس بخالد ، واستماتوا تحت لوائه، فلم يعودوا يحبون القتال الا تحت رايته **وظنوا ان راية يقودها خالد ، راية لا تهزم ، وأن جيشاً على رأسه خالد جيش انتصاره محتم ، مما جعل عمر يخشى أن ينسى الناس ربهم ويذكروا خالدا ، والنصر من عند**

الله وليس من عند خالد ، وفي ذلك يقول عمر في كتابه الذي وجهه الى الامصار : «**لم اعزل خالدا عن سخط ولا عن خيانة ، ولكن الناس فتنوا به ، فخفت ان يوكلوا ، ويبتلوا به فاحببت أن يعلموا ان الله هو الصانع والا يكونوا بعرض فتنته** » .

وهذا هو السبب الوحيد لعزل خالد : افتتان الناس به ، ودليل ذلك قول عمر لخالد : « **ما عزلتك لريبة فيك ، ولكن افتتن بك الناس فخشيت أن تفتتن بالناس** » . واذا نظرنا الى وصية عمر الى أبي عبيدة وجدنا فيها وصية المخلص لهذا الجيش المحب لهذه الامة ، المواقن بالله ، العاشق للدار الآخرة ، المتناسي للدنيا فكيف ينزع خالداً لامر شخصي ؟ يقول عمر في وصيته لابي عبيدة:

« وأوصيك بتقوى الله يبقى ويفنى ماسواه ، الذي هدانا من الضلالة واخرجنا من الظلمات الى النور ، وقد استعملتك على جند خالد ، فقم بأمرهم الذي يحق عليك ، لا تقدم المسلمين الى هلكة رجاء غنيمة ، ولا تنزلهم منزلا قبل ان تستريده[1] لهم وتعلم كيف مأتاه ، ولا تبعث سرية الا في كثف من الناس ، واياك والقاء المسلمين في الهلكة وقد أبلاك الله بي وأبلاني بك ، فغمض بصرك عن الدنيا ، وأله قلبك عنها ، واياك ان تهلكك كما أهلكت من كان قبلك فقد رأيت مصارعهم » .

والعزل كان على مرحلتين :

١ ــ عزل عن قيادة الجيش في اليرموك .

٢ ــ وعزل عن كل الاعمال ومنها ولاية خالد على قنسرين .

---

(١) يستطلعه لهم .

وأفضل من ناقش هذا الموضوع المرحوم العقاد رحمه الله ، والصاغ محمد فرج في كتابه « سيف الله خالد » ويمكن الاهتداء بآرائهما في المناقشة الآن ، ولكن قبل المناقشة والتحليل أقول : يجب الانطلاق من منطلق : أن اصحاب رسول الله ﷺ عدول ولا ينتقص منهم إلا منافق • فاذا بلغ من صواب عمر أننا لا نحصي عليه خطأ غير عزله لخالد وما جرى مجراه ، فما اكثر هذا صوابا على الآدمي وان كان من اعظم العظماء ، يكفي عمر شرفا ورفعة انه لم يخطىء غيرها (ان كان أخطأ بها !!) ••

يجب أن نقر أن خالداً سيفاً من سيوف الله ، هيِّىء وأعدَّ لقيادة حروب ، شب على ذلك ، ونشأ وترعرع عليه ، حياته كلها جهاد — بعد اسلامه — ففضائله لا تعد ، ومناقبه لا تحصى ، وعمر يجب ان نقر بعظمته وعبقريته في توجيه سياسة الدولة ، لقد انطبع في روحه العدل بين الناس وحبه لتنفيذ احكام الله ، ومحاسبته الدقيقة لولاته ففضله يقره القريب والغريب ، وعظمته مكان اعجاب الصديق والعدو •

خالد الذي شب في القتال ونشأ في الحروب وعاش لياليه وساعات نهاره فيها لا يرى حرجا ان يتزوج ليلة كان قبلها بساعات قد قتل عشرين وطعن مائة ، لانه اعتاد رؤية مناظر الحروب ولكن ذلك يصعب على عمر ، وكلاهما محق في وجهة نظره • فكلاهما من رجال هذه الامة الخالدة ، ومن عظمائها ، وحسب ابن آدم أن تعد معايبه — ان وجدت فيه عيوب — وشاء بعضهم ان يتخذ من سوء التفاهم هذا محور حديث وتعظيم ونشر ودراسة غير

موضوعية ولم تنطلق من منطلق احترام الرجلين لكبر مقامهما وفضلهما . عمر في العدل والسياسة وتنفيذ أحكام الله ، والثاني في الفتوح والجهاد رغم قلة ماكان معه وضعف عَدَدِه مع قلةالعدد.

وللمرحوم العقاد رأي وجيه في هذا الموضوع نلخصه بمايلي:

... ينبغي أن نفهم كل علاقة كانت بين عمر وبين احد من كبار الصحابة والتابعين على أساس ان عمر وضعَ الحق فوق كل قدرٍ ، عند هذا القسطاس الذي يعطي كل ذي قدر قدره ، كان عمر قد أعطى كل انسان حقه وقدره حيث ينبغي له فقدم عمر من قدم ، وأخر من أخر لا بهواه وبمزاجه بل قدم من قدم بعمله وأخر من أخر بعمله ، ولا عليه من غضب الغاضبين ولوم اللائمين — وعلى هذا الوجه نفهم كل علاقة بينه وبين احد من عامة المسلمين . فلكل رجل حقه ، ولكل عمل حقه ، ولا ضير على احد ان يتأخر قدره ويتقدم عمله ولا ينفع احدا ان يتقدم قدره ويتأخر عمله ، فكل عمل وله حساب ، وكل قدر وله كرامة ، فأكبر الصحابة قد يسبقه اصغر الناس إذا كان يستحق جزاء مناسبا حسنا ، وكل قسطاس غير هذا القسطاس فانما يعارضه عمر لظلم أو لخوف ، وليس هذا وذاك سبيل عمر ، فعدله أرقى من الشك ، وعلى هذا الضوء نلتمس الآن تأويل محاسبات عمر ومعاملاته اذا وقع منها ما يحتاج الى تأويل ، وعمر هو أول من يحاسب نفسه . وفي جميع محاسباته للقادة والولاة وضعت هذه المسألة موضع الصدارة ، وهي عادية ، وكذلك مع خالد ، فما صنعه عمر صنعه مع كل ولاته ، فالجميع عند عمر سواء .

● عزل عمر خالد وهو سيف الاسلام ، فقال الناس : منافسة الند للند ، والشبيه بالشبيه ، وقالوا : انها حقد قديم • وأول ما يذكر لعمر حسن نيته ، وطيب سريرته ، انه **صان للقائد الكبير كرامته** ، فكتب الى الامصار : انه لم يعزله لسخط ولا لخيانة ، ولكن الناس فتنوا به ••• خشي عمر أن يوكلوا به ويفتنوا ، فأحب ان يعلم الجند والناس عامة ان النصر من عند الله ، ان الله هو الصانع والا يكونوا بعرض الفتنة •••

● **ان عمر لم يحاسب خالدا بميزان غير الذي حاسب به جميع ولاته** ، فعمر لم يظهر انه انكر من خالد شيئا كان قبله من غيره ، وانه نصب له ميزانا غير الموازين التي يحاسب بها القواد والولاة ،

وكل صاحب عمل مسؤول ، كره عمر من خالد الاسراع الى القتال وهو الذي كان ينتقي للحروب « الرجل المكيث » وكان يتحرج أن يستبيح دماً مشكوكا فيه ، فأنكر على خالد : سرعة هجماته وشدة صدماته • هي سُنّة عمر لا شذوذ فيها ، انتقد على خالد توزيعاته وهباته المالية ولو أن عمر لم يفعل ما عمل لكان ذلك شذوذا ، وعمر معروف انه لا يحابي ولا يخشى في الله لومة لائم وخاصة في « سياسته العليا » ، لقد عزل عمر ولاته لخوف اما ان يفتتن بهم الناس فيفتتنوا هم بالناس ، فعمر يهمه ان يبقى قلب من ولاه وقلوب من ولّي عليهم ، كل هذه القلوب متعلقة بالله ، وبالله وحده ، وفي يوم من الايام دخل خالد على ابي بكر بعد مقتل مالك بن نويرة وفي عمامته اسهم ، غرسها للمباهاة ، فقام عمر

حينئذ فنزعها وحطمها[1] .

● ودليل آخر لطيب عمر وان ميزانه لم يتغير قوله لخالد : « **يا خالد والله انك علي كريم وانك الي لحبيب ولا تعاتبني بعد اليوم على شيء** » . فعمر ما خطر بباله حقد على خالد ، الا تكفينا شهادة داهية العرب « عمرو بن العاص » حين شهد بعمر فقال : « **لله در عمر أي رجل كان** » ! كلمة قالها رجل يعرف الرجال ، فعمر رجل لا يسهل نقده ، ولا يتأتى لانسان ان يحاسبه كماحاسب هو نفسه ، ولا يقع الخلاف بينه وبين منصف الا على انه اختلاف في الامزجة وتركيب العقول ، وعمر بشجاعته وثاقب بصيرته عرف ان بعضهم قد لا يفهم مغزى عزله لخالد ، لذلك أوضحه بكتابه للامصار ، وقال وهو يخطب في الجابية لينهي كل تقول : « **اني أعتذر اليكم عن عزل خالد بن الوليد** » ، لوضع حد لكل من لم يفهمه بعد ولينهي وساوسه .

● ودليل آخر على حب عمر لخالد قول عمر عندما وصله نبأ وفاة خالد : « **قد ثلم في الاسلام ثلمة لا ترتق** » ، رغم كل هذا التوضيح لم يفهم عمر أناس كثيرون فقال بعضهم : « لم يكن هذا رأيك فيه » فقال كي تزول الاوهام من النفوس وانه مما فعل الذي فعل الا لحرصه على اموال الامة وسلامة قلوب العباد : « **ندمت على ما كان مني اليه** » .

● مات خالد ولم يترك من حطام الدنيا غير فرسه وغلامه وحسامه فقط . من فتح الفتوحات وكسر الاباطرة والاكاسرة وغنم

---

(١) راجع عبقرية عمر للمرحوم العقاد .

من الاموال ماغنم ، لم يترك من حطام الدنيا شيئا يذكر، بذله كله في سبيل الله، ولله وحده، فلما علم عمر بهذا قال : « **رحم الله أبا سليمان كان على غير ما ظنناه عليه** » ، ظن بتصرفه بالمال وهباته للناس ، فعلم علم اليقين الآن رضي الله عنه وعن خالد ان خالداً كان ينفق في سبيل الله ولم يتخير لنفسه .

● ودليل آخر على حب عمر لخالد : كان عمر ينهى عن الندب والعويل ، فلما مات خالد واجتمع بنات عمر يبكينه ، يبكين القائد والمجاهد ، وسئل عمر أن ينهاهن ، قال : « دعهن يبكين على أبي سليمان ما لم يكن لقلقة ، **على مثله تبكي البواكي** » .

● ودليل آخر على حب عمر لخالد أنه قال للشاعر المخزومي الذي مدحه بعد وفاته :

« **قصرت في الثناء على ابي سليمان رحمه الله** ، انـه كان ليحب ان يذل الشرك واهله وان كان الشامت به لمتعرضا لمقت الله ، رحم الله أبا سليمان ، ما عند الله خير له مما كان فيه » .

وأخيرا ...

« ومن الحق ان يقال ان قضية خالد قد أرتنا مروءة خالد كما أرتنا مروءة عمر ، وقد عرضت لنا هذا البطل في صفحتيه ، فاذا هو بطل الفؤاد في ولايته وبعد عزله ، وفي شدته على عدوه وطاعته لاميره ... وما على مثله من ضير أن يحق عليه العزل في ميزان عمر بن الخطاب فذاك ميزان تعلو فيه الكفة ولا يزال صاحبها راجحا أي رجحان .

وقد استحق المجد بيقين واستحق العزل بظن ، ولولا مصلحة أعلى من مصلحة الابقاء على رضاه لكان ذلك الظن حقيقياً بالغض عنه والتجوز فيه ...

وكفى بالرجلين فضلا ان يختلفا ومن وراء اختلافهما فضل يعترف به كلاهما ويعترف به كل محب وشانىء وكل منصف وجاحد ، وما نخال ان تقديرنا لخالد وتقديرنا عمر يدعونا ان ننصب الميزان في هذه القضية من جديد ، فقصارى ما نغنم من ذلك ان خالدا كان جديرا بالبقاء في منصبه ولم يكن مستحقا لعزله ، وليس ذلك بشيء الى جانب ما رأيناه حين نصب الميزان في القضية كما نصبه خليفة الاسلام ، فقد أرانا عدلا أعظم من بطولة الابطال . فان أخطأ البطل — على تقدير خطئه — فالعدل اعظم منه واحرى ان يتعقبه كانه من أضعف الضعفاء ، وذلك ميزان أشرف لعمر ولخالد وللاسلام من كل ميزان » .

رحم الله عمر وخالدا ، فالاول بطل من أبطال العدل وتنفيذ الاحكام ...

والثاني بطل أبطال الجهاد والفتوحات .

وكل ميسر لما خلق له .

بطولات بعد المعركة

● الفارس الذي كان يقاتل عاريا الا من شيء يواري عورته .. انه ضرار بن الازور .

أراد أبو عبيدة أن يسير بعد اليرموك جيشا لملاقاة « وردان الرومي » صاحب حمص ، فقال له خالد : « يا أمين الامة اني أعرف رجلا لا يخاف الموت ، خبيرا بلقاء الرجال قد مات ابوه وجده في القتال » .

أبو عبيدة : « من هذا الرجل يا أبا سليمان ؟ » .

خالد : « هو ضرار بن الازور » .

أبو عبيدة : « والله لقد صدقت ووضعت رجلا باذلا معروفا فافعل » .

رجع خالد الى خيمته واستدعى ضرارا فجاء اليه فقال خالد : « يا ابن الازور ، اني أريد أن اقدمك على خمسة آلاف قد باعوا أنفسهم لله عز وجل ، واختاروا دار البقاء على الاولى ، وتسير الى لقاء العدو ، هؤلاء القوم الذين وردوا علينا ، فان رأيت لك منهم طمعا ــ بالنصر ــ فقاتلهم ، وان رأيت انك لا تقدر عليهم فابعث الينا برسولك » .

فقال ضرار : « وافرحتاه ، والله يا ابن الوليد ما دخل قلبي فرحة أعظم من هذه » •• ثم جمع خالد لضرار الجند ، وسار ضرار حتى وصل الى « بيت لهيا » فوقف هناك حتى لحق به جميع أصحابه ، ثم اقترب من عدوه ، فوجده جيشا كبيرا ، فاقترح بعضهم ان يرجعوا ••• فقام رافع بن عميرة الطائي وقال : ياقوم وما الخيفة من هؤلاء العلوج ، أما نصركم الله في مواطن كثيرة والنصر مقرون مع الصبر ، ولم تزل طائفتنا تلقى الجموع الكثيرة والجموع اليسيرة ، فاتبعوا سبيل المؤمنين وتضرعوا الى رب العالمين ، وقولوا كما قال قوم طالوت عند لقائهم جالوت « **ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين** »• فقرر الجميع المجابهة ولقاء جيش « وردان » فكان اول من برز للروم قائد الكتيبة « ضرار بن الازور » ، عاري الجسد الا من ازار يواري عورته ، تقدم على فرس وبيده قناة وهو يهتف الله اكبر ••• ويحمس القوم ويوصيهم ، وكان رضي الله عنه يقاتل بهذا الشكل رغبة منه بالشهادة •

هال الروم منظر هذا الرجل لشكله وجرأته ، هالهم هذا الفارس الذي يطلب قائدهم « وردان » للنزال ، يتردد قائد الروم لكن ضراراً يتقدم نحوه فاذا فارس رومي يتقدم الى ضرار معترضا فقتله ضرار بحربته ، وتراجع وردان الى الخلف فقالت البطارقة : (الى أين أيها السيد ؟ أتفر من « الشيطان » فما رأينا أدنى من منظره ولا أهول من مخبره) • نظر ضرار الى وردان وهو منعطف الى الوراء فعلم انه قد عزم على الهرب ، فصاح ضرار :

الموت حق أين لي منـه المفر   وجنة الفردوس خير المستقر
هذا قتالي فاستعد يامن حضر   وكل هذا في رضا رب البشر

وسار بين جند الروم يريد « وردان » لكن الروم احدقوا به ورماه « همدان بن وردان » بسهم اصابه فأوهنه فأحس ضرار بالالم فحمل على همـدان فضربه برمحه ولما سحبه خـرج الرمح من غير سنان ، فطمع الروم به ، وحملوا عليه وأخـذوه أسيرا .

نظر الجند الى ضرار يؤسر ، فصعب عليهم الامر ، وقاتلوا بقوة ليخلصوه ، فما استطاعوا ، فقرروا التراجع ، فقال رافع بن عميرة : « **يا أهل القرآن ، الى أين تريدون ؟ ، أما علمتم أو َمَن** ولى ظهره لعدوه فقـد باء بغضب من الله ؟ وان الجنة لها أبواب لا تفتح الا للمجاهدين ... الصبر الصبر ... الله الله ... الجنة الجنة » .

بلغ خالد الخبر برسول أرسل من الجيش ، فقال رضي الله عنه : « كم العدو » ؟ قالوا : « فيَ اثني عشر الف فارس » فقال : « والله ما ظننت الا انهم في عدد يسير » ، ثم سأل عن مقدمتهم من يكون ؟ فقيل له : « وردان صاحب حمص ، وقد قتل ضرار ولده » . فاستشار خالد أبا عبيدة ، فأشار عليه أن يترك على الباب الشرقي بدمشق من يثق به وان يسير اليهم ، فقال خالد : « **والله ما أنا ممن يبخل بنفسه في سبيل الله** » ، فوضع على الباب الشرقي ميسرة بن مسروق العبسي ، ومعه الف فارس ، وأوصاه

ان يثبت في مكانه ولا يغاذره ، ثم عطف خالد بالناس وقال لهم : « أطلقوا الاعنــة وقدموا الاسنة ، فاذا أشرفتم على العــدو فاحملوا حملة واحدة ليخلص فيها ضرار ان شاء الله تعالى ، ان كانوا أبقوا عليه ، والله ان كانوا عجلوا عليه لنأخذن بثأره » . تقدم خالد وهو يقول :

اليوم يوم فاز فيه من صدق | لاأرهب الموت اذا الموت طرق
لاروين الرمح من ذوي الحدق | لاهتكن البيض هتكا والدرق
عسى أرى غدا مقام من صدق | في جنة الخلد وألقى من سبق

وأثناء الاشتباك مع جند العدو ، رأى خالد فارسا بيده رمح طويل وهو لا يظهر منه الا الحدق ، والفروسية تلوح في شمائله ، وعليه ثياب سود ، وقد حزم وسطه بعمامة خضراء وسحبها على صدره ومن ورائه ، وقد سبق أمام الناس ، فقال خالد : « ليت شعري من هذا الفارس ؟ » فتبعه خالد والناس وقاتلوا قتالا شديدا وخرج هذا الفارس الملثم من بين الصفوف وسنانه ملطخ بالدماء بعد أن عرض نفسه للهلاك مرارا ، وظن بعضهم ان هذه الحملات لا يكون مثلها الا لخالد ، ولكن خالداً بينهم ، رجع هذا الفارس الملثم الى الاعداء فأقبل رافع بن عميره وسأل خالداً : «من يكون الفارس» . فقال خالد : « والله انني لأشدانكارا منكم له ، ولقد اعجبني ماظهر منه ومن شمائله » . قال رافع : « انه منهمك بين الروم » . قال خالد : « معاشر المسلمين احملوا باجمعكم وساعدوا المحامي عن دين الله » فوصل خالد اليه ودافع عنه والفارس الملثم مخضل

بالدماء ، فقال له خالد : « لله درك ، اكشف لنا عن لثامك » ، فمال الفارس عنه ، ولم يخاطبه ، وانغمس في قتاله ... ثم رجع الى جيش المسلمين فتقدم يخاطبه خالد مع كوكبة من جنده ، وقال : « أيها الفارس الكريم من أنت ؟ » ، فلم يجب ، فقال أحدهم : « أيها الرجل الكريم ، أميرك يخاطبك وانت تعرض عنه ، اكشف عن اسمك وحسبك لتزداد تعظيماً » فلم ينطق الفـارس الملثم ، فقال خالد : « ويحك لقد شغلت قلوب الناس بفعلك ، من أنت ؟ »، فلما ألح خالد ... خاطبه الفارس من تحت لثامه بلسان انثى : **« انني يا أمير ، لم اعرض عنك الا حياء منك لانك سيف الله ، لانك أمير جليل ، وأنا من ذوات الخدور ، وربات الستور ، وانما حملني على ما رايت انني محرقة الكبد زائدة الكمد »** فقال لها : « من أنت ؟ » ، قـالت : **« أنا خولة بنت الازور والمأسـور بين المشركين أخي ، وقـد جئت اتبعكم لما قال لي الساعي ان ضرارا أسيرا** . فلمـا رأى خـالد ما ظهر من هذه المرأة ، حمل وحمل معه الجميع حمـلة فاصلة اضطربت بها جيوش وردان وانسحبت شمالا ورجع المسلمون الى مواقعهم ، وأخذت خولة تسأل عن أخيها ، وسأل ترجمان الاسرى فلم يجب أحـد فأيست خولة منـه فبكت ، وجعلت تقـول : **« يا ابن امي ليت شعري ، في أي بيـداء طرحوك ، أم بالحسـام قتلوك ؟ ، يا أخي اختك لك فداء ، ليت شعري أترى اني أراك بعدها ؟ لقد تركت يا ابن أمي في قلب اختك جمرة لا يخمد لهيبها ولا يطفأ ، يا ابن أمي ألحقت بأبيك المقتول بين يـدي النبي ﷺ ؟ فعليك مني السلام .. عليك مني السلام ... عليك مني السلام ... »** .

فبكى الناس من قولها ودمعت عين خالد لكلامها ، وفي أثناء

ذلك تقدم فرسان من الروم ، فتهيأ القوم ولكنهم ترجلوا عندما أشار الفرسان بالامان ، فقال خالد : « من أنتم ؟ » فقال رجل بالعربية « نحن جند هذا الرجل « وردان » ومقامنا حمص ، وقد تحقق عندنا ما يطيقكم ولا يستطيع حربكم ، فاعطونا الامان ، واجعلونا من جملة من صالحتم من سائر المدن وتؤدي لكم الجزية التي اردتم في كل سنة ، وكل من في حمص يرضى بقولنا » ، فقال خالد : « اذا وصلنا الى بلادكم لن يكون الا الصلح ان شاء الله ، أما هنا فلا نصالحكم وكونوا معنا الى ان يقضي الله ما هو قاض » ، ثم قال لهم خالد : « هل عندكم صاحبنا الذي قتل ابن صاحبكم ؟ » قالوا : « لعله عاري الجسد الذي فجع صاحبنا في ولده ؟ » قال خالد : « عنه سألتكم » قالوا : « بعثه وردان أسيرا على بغل ووكل به مائة فارس ، وانفذه الى حمص » . فرح خالد بقولهم ثم دعا برافع بن عميرة الطائي وقال له : « يا رافع ما أعلم احدا أخبر منك بالمسالك وانت الذي قطعت بنا المفازة من ارض السماوة وأعطشت الابل وأوردتها الماء ، واوردتنا « اركة » وما وطئها جيش قبلنا لمفازتها ، وانت من خيرة اهل الارض في الحيل والتدبير ، فخذ معك من أحببت واتبع أثر القوم فلعلك ان تلحق بهم وتخلص صاحبنا من أيديهم ، فلئن فعلت ذلك لتكونن الفرحة الكبرى » ، فقال رافع : « حبا وكرامة » وفي الحال انتخب مائة فارس شدادا من المسلمين وعزم على المسير ، فأتت البشرى الى خولة بمسير رافع ومن معه في طلب أخيها ضرار فتهلل وجهها فرحا وأسرعت الى لبس سلاحها وركبت جوادها

وأتت الى خالد ثم قالت : « أيها الامير سألتك بالطاهر المطهر محمد سيد البشر الا ما سرحتني مع من سرحت ، فلعلي أن اكون مشاهدة لهم » ، فقال خالد لرافع : « السمع والطاعة » وارتحل رافع ومن معه وخولة تسير في اثر القوم الى ان اقتربوا من « سليمة » فنظر رافع ومن معه الى القوم يبحثون ، فلم يجدوا اثرا لهم ، فقال لاصحابه : « ابشروا فان القوم لم يصلوا الى ههنا ، فكمن بهم في « وادي الحياة » وبينما هو في كمينهم اذ بغبار لاحت ، فقال رافع : « ايقظوا خواطركم وانتبهوا » فبقي القوم في يقظة في انتظار عدوهم ، واذا بهم قد أتوا وهم محدقون بضرار ، يسير على قدميه والحديد بيديه أما هم فعلى جياد من حوله ، ففاجأهم المسلمون على حين غرة ، ودار قتال قصير ، ولكنه شديد ، فخلص رافع ومن معه ضرارا ، فقتلوا من قتلوا وهرب من الروم من هرب ناجيا بروحه ، وعاد رافع الى خالد ومعه ضرار فهنأه بالسلامة ، واثنى خالد على رافع بكلمات فيها تشجيع القائد العام الى قواد الفرق ، تقديرا لانجازهم المهمات ، واقرارا بجهودهم المثمرة واعجابا بتضحيتهم وصدقهم في طلب الشهادة وعاد خالد ورافع الى دمشق وفرح المسلمون بنصر الله ٠

سؤال قد يخطر ببال ٠٠٠

هل قاتلت خولة في سبيل الله ؟ أم قاتلت في سبيل تخليص أخيها من الاسر ؟٠٠٠

الحق انها قاتلت في سبيل الله ، ليبقى هذا المغوار يضرب في

نحور اعداء الله ، لو قاتلت لاجله ولاجل تخليصه لرجعت به الى دارها في المدينة وقد تحقق لها تخليصه ، وكانت خولة قد طلبت منه الخروج الى الجهاد قبل اليرموك ، وقاتلت في اليرموك مع أخيها في الصفوف الاولى ، وفي ساحات المعركة الحاسمة كانت ساعة تداوي وساعة تحمس وساعة ترد الفرسان والخيل ، فمن طلب الخروج الى حيث يدري انها الحرب ، قتل ودماء فمن خرج لهذا ، خرج في سبيل الله وتخليص أخيه لله أيضاً ، ليبقى في مقدمة الجند ويكسب الشهادة كما كسبها أبوه من قبله ، ليكسب الشهادة وهو في الصف الاول مقبلا على اعدائه غير مدبر ، عندها تفرح خولة لهذا الفوز وتهنأ به ، رجعت خولة الى اسوار دمشق مع أخيها وهناك اشتركا في القتال وفي الحصار حتى كتب الله لها ولاخيها الشهادة عند السور الشرقي ، وما زال ضريحها على بعد عشرات الامتار من السور وبجوارهما شرحبيل بن حسنة ، وضريح ضرار مهلهل مهدم مجمع للقمامة . أليست الامة تدري ان في داخل هذا الضريح أسدا هصورا وسيفا من سيوف الله ؟ حبذا لو حسن هذا الضريح ، تقديرا من أمتنا لابطالها ...

فأمة لا تقدر عظماءها ، أمة لا تعرف العظمة .

وأمة لا تقدر ابطالها ، أمة لن تسطر البطولات في ميادين حياتها .

« والحمد لله رب العالمين »



خاتـمة

★ « ويومئـذ يفـرح المؤمنون بنصر الله : ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » •

في القرآن الكريم معجزات كثيرة تثبت انه وحي يوحى ، من هـذه المعجزات ما هو علمي او كوني او تاريخي •• منها ما تحقق وجاء العلم مطابقا له وكان الفضل في السبق الى كتاب الله عز وجل ، ومنها ما أثبته القرآن عقيدة في نفس المسلم ، لكن قد يحتاج الى سنوات ـ تقصر او تطول ـ حتى حين تحقيقها علميا كما جاءت في كتاب الله من قبل •

فمن اعجاز القرآن الكريم الذي يناسب كتابنا هذا • قوله تعالى في سورة الروم :

« الم • غُلِبَت الرومِ في أدنىِ الارضِ ، وهم مِن بعد غلبهم سَيَغلبون • في بضعِ سنينٍ • لله الامر من قبلِ ومنِ بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون ، بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم • وعد الله لا يخلف الله وعده ، ولكن اكثرِ الناسِ لا يعلمون • يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ، وهم عن الآخرة هم غافلون » •

فبدأت السـورة بحروف الالف واللام والميم للاستدعاء والتنبيه ، ثم تبع ذلك انكسار الروم في البلاد المتاخمة للحجاز « ادنى الارض » وهي بلاد الشام ، وبشرى بنصر يحرزه الروم خلال بضع سنين وهذا وعد الهي محقق لهم من الله لا يخلف وعده ، ولو ان اكثر الناس لا يعرفون الحقائق وان كل ما يعرفونه هو

بعض امور الظاهر في شؤون الحياة الدنيا ، في حين انهم غافلون عن الآخرة ، مع ما هي عليه من خطورة الشأن •

والآية نزلت في ظروف كانت فيها الحرب بين الروم والفرس مسرحها بلاد الشام وجزيرة الفرات ، انتصر الفرس فيها ، ففرح مشركو مكة بذلك وشمتوا بالمسلمين الذين كانوا في مشاعرهم مع الروم لانهم أهل كتاب ، فشق ذلك على المؤمنين واحزنهم فجاءت الآية بشرى تكيد المشركين في مكة « وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين » ثم جاء خبر ما سيحدث بعد انتصار الروم ألا وهو « انتصار المؤمنين المسلمين » « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ، وعد الله ، لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون » •

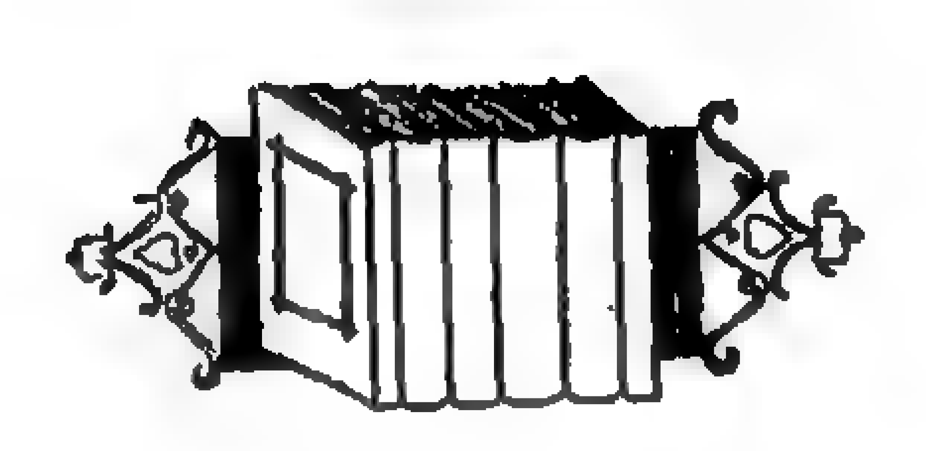
وهذا ما حدث حسب اخبار القرآن الكريم ، وهذا من اعجازه ، وهذا مع غيره من المعجزات اثبات ان هذا الكتاب من عند الله عز وجل وليس من تأليف البشر •

ومما جرى عند انكسار الروم ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه راهن أمية بن خلف ـ وكان الرهان لم يحرم بعد ـ وجعل الامد خمس سنين او ست سنين وأعلم النبي ﷺ بذلك فقال له : مد الاجل لان « بضع » يمتد من ثلاث سنين الى تسع ، ففعل وانتصر الروم وكسب ابو بكر الرهان وأسلم كثير من المشركين على اصح الروايات •

فهذا القرآن الكريم منذ نزوله الى يومنا هذا وهو في جدة فكل جيل يرى المعجزات في آياته . ويكفي لختام هذه الخاتمة ان نذكر قوله تعالى :

« كتاب أحكمت آياته »

« صدق الله العظيم »



تراجم الأعلام

١ ـ أسماء بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر ، « ذات النطاقين » ، صحابية من الفضليات ، آخر المهاجرين والمهاجرات وفاة ، وهي أخت عائشة لأبيها ، وأم عبد الله بن الزبير ، شهدت اليرموك مع ابنها وأبيها وزوجها • وكانت فصيحة حاضرة القلب واللب ، تقول الشعر ، وخبرها مع الحجاج بعد مقتل ابنها عبد الله مشهور ، عاشت مئة سنة وهي محتفظة بعقلها • وسميت « ذات النطاقين » لأنها صنعت للنبي ﷺ طعاما حين هاجر الى المدينة، فلم تجد ماتشده به ، فشقت نطاقها وشدت به الطعام• لها ٥٦ حديثا•

٢ ـ خولة بنت الأزور الأسدي : شاعرة ، كانت من أشجع النساء في عصرها ، وتشبه بخالد بن الوليد في حملاتها ، وهي أخت ضرار بن الأزور ، لها أخبار كثيرة في فتوح الشام ، وفي شعرها جزالة وفخر •

٣ ـ الزبير بن العوام بن خويلد الاسدي القرشي ، أبو عبد الله ، الصحابي الشجاع ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وهو ابن عمة النبي ﷺ ، أسلم وله ١٢ سنة ، وشهد بدرا وأحدا وغيرهما ، وكان على بعض الكراديس في اليرموك ، وشهد الجابية مع عمر بن الخطاب• قالوا : كان في صدر ابن الزبير أمثال العيون من الطعن والرمي • وجعله عمر فيمن يصلح للخلافة بعده ، وكان موسرا ، كثير المتاجر ، وكان طويلا جدا ، قتله ابن جرموز غيلة يوم الجمل بوادي السباع (على ٧ فراسخ من البصرة) ، كان خفيف اللحية أسمر اللون ، كثير الشعر ، له ٣٨ حديثا •

٤ ـ صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف « أبو سفيان » صحابي من سادات قريش في الجاهلية ، وهو والد معاوية رأس الدولة الاموية ، أسلم يوم فتح مكة سنة ٨ هـ ، وأبلى بعد أسلامه البلاء الحسن ، وشهد حنينا والطائف ففقئت عينه يوم الطائف ، ثم فقئت الاخرى يوم اليرموك ، فعمي ، وكان من الشجعان الابطال ، قال المسيب : فقدت الأصوات يوم اليرموك إلا صوت رجل

يقول : يا نصر الله اقترب ، قال : فنظرت ، فاذا هو أبو سفيان ، تحت راية ابنه يزيد ، ولما توفي النبي ﷺ كان أبو سفيان عامله على نجران، ثم أتى الشام ، وتوفي سنة ٣١ هـ ـ ٦٥٢ م ٠

٥ ـ ضرار بن الأزور « مالك » بن أوس بن خزيمة الأسدي ، أحد الابطال في الجاهلية والاسلام ، وكان شاعرا مطبوعا ، له صحبة ، وهو الذي قتل مالك بن نويرة بأمر من خالد ، حضر وقعة اليرموك وفتح الشام ، وقاتل يوم اليمامة أشد قتال ٠

٦ ـ عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، صحابي ابن صحابي ، كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة ، فجعله رسول الله ﷺ عبد الرحمن، وكان من أشجع قريش وارماهم بسهم ، حضر اليمامة ، وشهد غزو افريقية ، وحضر وقعة الجمل مع شقيقته عائشة ٠

كان شاعرا ، له في الجاهلية غزل بليلى بنت الجودي الغسانية (وكان أبوها أمير دمشق قبل الاسلام ، وقدم عبد الرحمن الشام في تجارة فرآها ، فأحبها وهام بها) ، ثم تزوجها بعد فتح الشام ، رفض البيعة ليزيد ٠ وقال : « أهرقلية كلما مات قيصر كان قيصر مكانه ؟ لا نفعل والله أبدا ! » فبعث اليه معاوية بمئة ألف درهم ، فردها وخرج الى مكة ، فمات فيها سنة ٥٣ هـ قبل أن تتم البيعة ليزيد ، له في كتب الحديث ثمانية أحاديث ٠

٧ ـ عبد الله بن سلام بن الحارث ، أبو يوسف ، صحابي ، قيل انه من نسل يوسف بن يعقوب ، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة ، وكان اسمه « الحصين » فسماه النبي عبد الله ، وفيه الآية : « وشهد شاهد من بني اسرائيل » ، والآية : « ومن عنده علم الكتاب » ٠ شهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية ، ولما كانت الفتنة اتخذ سيفا من خشب واعتزلها، وأقام بالمدينة الى أن مات سنة ٤٣هـ ، له ٢٥ حديثا٠

٨ ـ عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي القرشي ، من صناديد قريش في الجاهلية والاسلام ، أسلم بعد فتح مكة وحسن اسلامه ، فشهد الوقائع ، وولي الاعمـال لابي بكر ، واستشهد في اليرموك ، أو يوم مرج الصفر ، وعمره ٦٢ ٠ وفي الحديث : « لا تؤذوا الاحياء بسبب الموتى » قال المبرد : فنهي عن سب أبي جهل من أجل عكرمة ٠

٩ ـ عمار بن ياسر بن عامر الكناني المذحجي العنسي القحطاني « أبو اليقظان » صحابي ، من الولاة الشجعان ذوي الرأي ، وهو أحد السابقين الى الاسلام والجهر به ، شهد بدرا وأحدا والخندق وبيعة الرضوان ، وكان النبي ﷺ يلقبه : « الطيب المطيب » ولاه عمر الكوفة، وشهد الجمل وصفين مع علي ، وقتل في الثانية عام ٣٧ هـ وعمره ثلاث وتسعون سنة ، له ٦٢ حديثاً ٠

١٠ ـ عمرو بن معد يكرب : مرت ترجمته في « القادسية » ، وبعض أخباره في « نهاوند » ٠

١١ ـ الفضل بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ، من شجعان الصحابة ووجوههم ، كان أسن ولد العباس ، ثبت يوم حنين ، وأردفه رسول الله ﷺ وراءه في حجةالوداع ، فلقب وقيل مات في طاعون عمواس، له ٢٤ حديثا٠ وفي مدينة الرملة الشام٠ فاستشهد في وقعة أجنادين « بفلسطين » سنة ١٣ هـ ، قبر قديم يقال انه مدفون فيه ٠

١٢ ـ مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي المعروف « بالأشتر » : أمير ، من كبار الشجعان ، أول ماعرف عنه أنه حضر خطبة عمر في الجابية : شهد اليرموك وذهبت عينه فيها ٠ شهد يوم الجمل وأيام صفين مع علي ، وولاه علي « مصر » فقصدها ، فمات في الطريق ، فقال علي : رحم الله مالكا فلقد كان لي كما كنت لرسول الله، له شعر جيد ، ويعد من الشجعان الأجواد العلماء الفصحاء ٠

١٣ ـ ميسرة بن مسروق العبسي ، قائد من شجعان الصحابة ، كان أحد التسعة الذين وفدوا على النبي ﷺ من بني عبس ، وشهد حجة الوداع ، ولما كانت الردة ، ثبت مع قومه ، وقدم مصدقتهم على أبي بكر ، فاوصى بهم خالد بن الوليد ، فشهدوا معه اليمامة وفتوح الشام ، تولى سنة ٢٠ هـ قيادة جيش عدده نحو اربعة آلاف ، زحف به من الشام الى أرض الروم ، فظفر وغنم ، وهو أول جيش دخل بلاد الروم ٠ وحسبه أن خالداً أنابه عنه على الباب الشرقي حين سارع الى نجدة رافع بن عميرة لتخليص ضرار من الأسر ٠

١٤ ـ المقداد بن عمرو ، ويعرف بابن الاسود الكندي البهراني الحضرمي ، أبو معبد ، أو أبو عمرو ، صحابي من الابطال ، هو أحد السبعة الذين كانوا اول من اظهر الاسلام ، وهو أول من قاتل على

فرس في سبيل الله ، شهد بدرا وغيرها ، توفي قرب المدينة سنة ٣٣ هـ، له ٤٨ حديثا ·

١٥ ـ هند بنت عتبة بن ربيعة ، صحابية قرشية ، وهي أم الخليفة الاموي معاوية بن ابي سفيان ، تزوجت أباه بعد مفارقتها لزوجها الاول « الفاكه بن المغيرة » المخزومي ، وكانت فصيحة جريئة ، صاحبة رأي وحزم ونفس وأنفة ، أسلمت بعد فتح مكة وعادت الى صنم لها في بيتها ، وجعلت تضربه بالقدوم حتى فلذته ، وهي تقول : كنا منك في غرور · شهدت اليرموك وحرضت على قتال الروم · توفيت سنة ١٤ هـ ـ ٦٣٥ م ·

١٦ ـ يزيد بن أبي سفيان « صخر » بن حرب الاموي ، أبو خالد، امير صحابي ، من رجال بني امية شجاعة وحزما ، أسلم يوم فتح مكة · استعمله النبي ﷺ على صدقات بني فراس ، وكانوا أخواله ، ثم استعمله ابو بكر على جيش وسيره الى الشام وخرج معه يشيعه راجلا ، ولما استخلف عمر ولاه فلسطين ، ثم ولي دمشق وخراجها ، وافتتح قيسارية ، وهو أخو معاوية الخليفة ، له وقائع كثيرة واثر محمود في فتوح البلاد الشامية ، توفي في دمشق بالطاعون سنة ١٨ هـ ، وهو على الولاية ·

١٧ ـ أم حكيم بنت الحارث القرشية المخزومية ، أمها فاطمة بنت الوليد ، اخت خالد ، اسلمت يوم الفتح ، وهي التي استأمنت لزوجها عكرمة بن أبي جهل من النبي ﷺ ، ولما استشهد عكرمة باليرموك ، تزوجها خالد بن سعيد الذي استشهد في مرج الصفّر ، وقاتلت أم حكيم يومئذ فقتلت سبعة بعمود فسطاط ·



المحتوى

للمؤلف

١ ـ الإسلام في قفص الاتهام (ترجم إلى الفارسية)
٢ ـ مَنْ ضيّع القرآن ؟
٣ ـ الإنسان بين العلم والدين
٤ ـ هارون الرشيد
٥ ـ غريزة .. أم تقدير إلهي ؟
٦ ـ آراء يهدمها الإسلام
٧ ـ الإسلام وحركات التحرر العربية
٨ ـ عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي
٩ ـ الهجرة « حدث غيّر مجرى التاريخ »
١٠ ـ جرجي زيدان في الميزان

سلسلة «المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام»

١ ـ القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص
٢ ـ اليرموك بقيادة خالد بن الوليد
٣ ـ نهاوند بقيادة النعمان بن مقرّن المزني
٤ ـ ذات الصواري بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح
٥ ـ فتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد
٦ ـ بلاط الشهداء بقيادة عبد الرحمن الغافقي
٧ ـ فتح صقلية بقيادة أسد بن الفرات
٨ ـ الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين
٩ ـ الأرك بقيادة المنصور يعقوب الموحّدي
١٠ ـ العقاب بقيادة محمد الناصر بن يعقوب الموحّدي
١١ ـ مصرع غرناطة « أبو عبد الله الصغير آخر ملوك بني الأحمر »

غزوات الرسول الأعظم

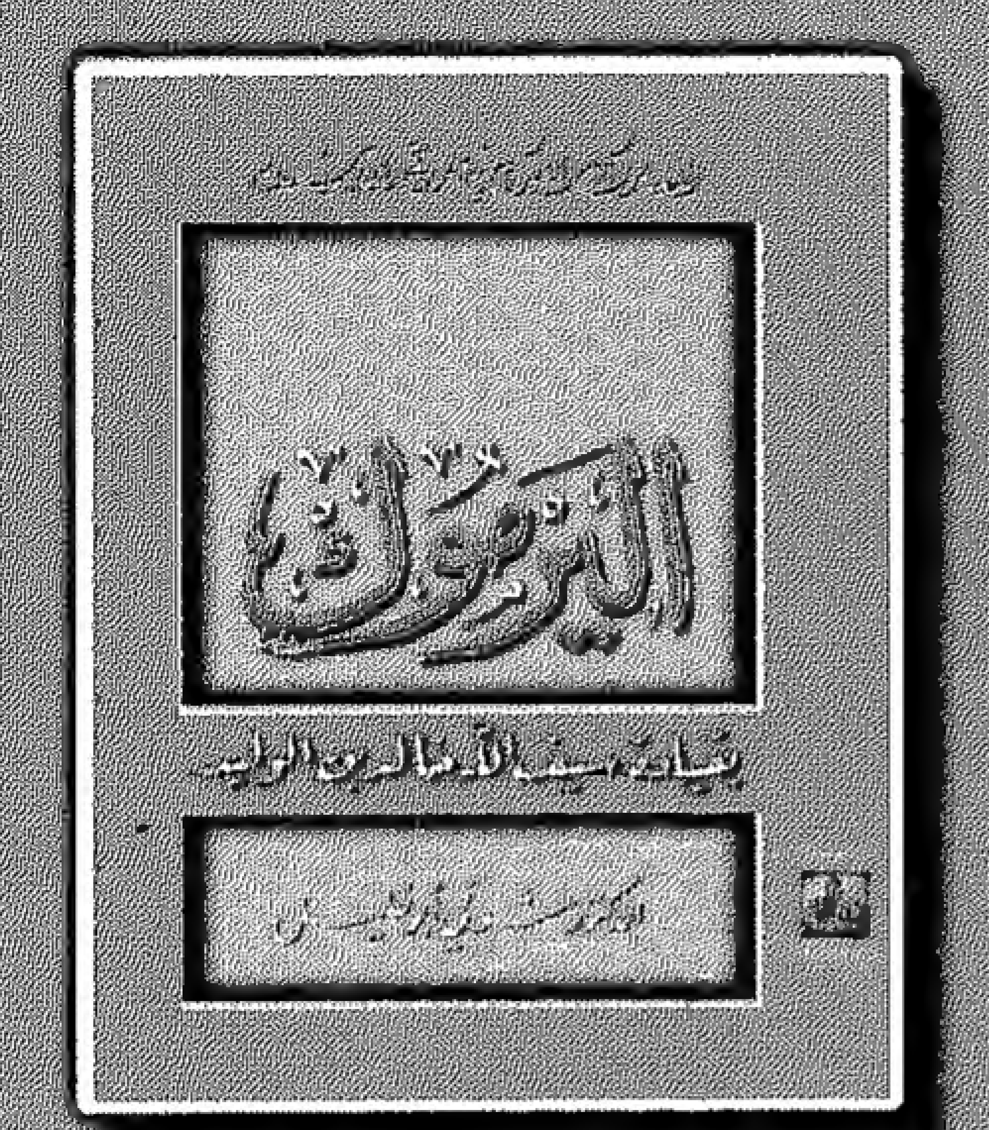
بَدر الكبرَى	:	رمضان ٢ هـ ـ كانون الثاني ٦٢٤م
غزوَة أُحُد	:	شوال ٣ هـ ـ كانون الثاني ٦٢٥م
غزوَة الخَندق	:	شوّال ٥ هـ ـ شباط ٦٢٧م
صلح الحديبيّة	:	ذي القعدة ٦ هـ ـ شباط ٦٢٨م
غزوة خَيبَر	:	المحرّم ٧ هـ ـ آب ٦٢٨م
غزوة مؤتة	:	جمادى الأولى ٨ هـ ـ إيلول ٦٢٩م
فتح مكة	:	رمضان ٨ هـ ـ كانون الثاني ٦٣٠م
حُنَين والطائف	:	شوّال ٨ هـ ـ شباط ٦٣٠م
غزوة تَبُوك	:	رجب ٩ هـ ـ تشرين الأول ٦٣٠م
«حُروبُ الرِّدّةِ»	:	«في خلافة الصّديق سنة ١١ هـ»

THE GREATEST BATTLES IN THE HISTORY OF ISLAM

Al - Yarmūk

Dr.Shawqī Abū Khalīl

المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام



- الأرك .
- بلاط الشهداء .
- ذات الصواري .
- الزلاقة .
- العقاب .
- عمورية .
- فتح الأندلس .
- فتح الديبل .
- فتح سمرقند .
- فتح صقلية .
- القادسية .
- مصرع غرناطة .
- نهاوند .
- وادي المخازن .
- اليرموك .


Bibliotheca Alexandrina
0606462

DAR AL-FIKR
3520 Forbes Ave., #A259
Pittsburgh, PA 15213
U.S.A
Tel: (412) 441-5226
Fax: (412) 441-8198
e-mail: fikr@fikr.com
http://www.fikr.com/

ISBN 1-57547-515-4

